


سلسلة المعارف الإسلاميّة

دروس قرآنيّة


مركز نون
للتأليف والترجمة


www.almaaref.org
شبكة المعارف الإسلامية
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org



دروس قرآنيّة



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

اسـم الكـتاب : دروس قرآنيّة
إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة
نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
تـاريـخ الطبـع : تشرين الأوّل ٢٠١٠ م - ١٤٣١هـ
طبعة جديدة ومنقّحة



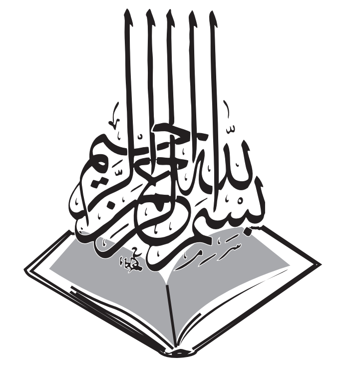
مركز نون للتأليف والترجمة
بيروت - لبنان - المعمورة - الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

سلسلة المعارف الإسلاميّة

دروس قرآنيّة



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org





الفهرس

المقدّمة

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[1]

جميلة هي آي القرآن الكريم، مرآة لضياء اللّه، ونور هدى لا ينطفئ، وشفاء لما في الصدور، وزينة للمؤمن، ودستور حياة طيّبة، ومنجاة من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

عن رسول اللّه ﷺ: «**فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن' فإنّه شافع مشفّع وماحل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل**»[2].

فما أحوجنا في هذا الزمان - حيث القابض على دينه كالقابض على الجمر- إلى القرآن الكريم، وما فيه من هدى:

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[3].

(١) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٢) الكافي، الكليني، ج٢، ص ٥٩٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩.

من هنـا دأب مركز نون للتأليـف والترجمة في جمعيّة المعارف الإسـلاميّة الثقافيّـة على العمل على وضـع مجموعة من الكتب القيّمـة الّتي تتعرّض لما في القرآن الكريم من دروس وعبر ومفاهيم، ضـمن مسـتويات متعـدّدة، بين يديّ القارئ الكريم، والطالب للمنهج القويم.

ويضـمّ هذا الكتاب بين دفّتيه جملة من المواضـيع الّتي راعينا فيها الإشارة إلى أهمّ المطالب والمباحث القرآنيّة، ضـمن منهجيّة واضـحة تنطلق بالطالب من مرحلة الإدراك لأهميّة القرآن إلى حبّ التلاوة، فالتلاوة الصحيحة، ومعرفة مخارج الحروف واصطلاحات الضبط وأسـرار الرسم القرآنيّ، فآداب التلاوة الظاهريّـة والباطنيّـة، ثمّ مناهج التفسـير، وفهـم معاني بعض الآيات والسـور القصار.

نسـأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل القرآن يوم القيامة معنا وأن يكون شافعاً لنا، وأن يتقبّل منّا هذا العمل المتواضع، إنّه سميع مجيب.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾(١)

مركز نون للتأليف والترجمة



(١) سورة النمل، الآية: ٩٢.



الدرس الأوّل

القرآن منهاج حياة



أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب أنّ القرآن منهاج للحياة.

٢. أن يتعرّف إلى المعجزة الخالدة.

٣. أن يتعرّف إلى خصائص القرآن الكريم.



منهاج الحياة

يشتمل الدين الإســلاميّ على أتمّ المناهج للحياة الإنسانيّة، ويحتوي على ما يســوق البشر إلى الســعادة في الدارين. هذا الدين عُرفت أسسه وتشريعاته من طريــق القرآن الكريم والســنّة الشــريفة، فالقرآن الكريم ينبوعــه الأوّل ومعينه الّذي يترشّح منه.

والقوانين الإســلاميّة الّتي تتضمّن سلســلة من المعارف الاعتقاديّة والأصول الأخلاقيّة والعمليّة، نجد منابعها الأصيلة في آي القرآن العظيم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢].

فلــو دقّقنا النظر في النقاط التالية نُدرك كيف اشــتمل القــرآن الكريم على المناهج الحياتيّة الّتي لا بدّ من توفّرها للإنسان:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

١ ـ السعادة غاية الإنسان:

يهدف كلّ إنسـان في هذه الحياة الدنيا للحصول على السعادة. ولكن يختلف البشـر فـي تحديدها وتشـخيص المـوارد الّتي يمكـن أن تحقّقهـا فبعضٌ يظنّ السـعادة في المال، وآخر في الجاه والمنصـب وغيرهم في الشـهرة وهكذا ... والسعادة الحقّة يوم القيامة في الجنّة، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[١].

٢ـ ضرورة القوانين والأنظمة:

لا بدّ للإنسان من هدف خاصّ في أفعاله الفرديّة والاجتماعيّة. وللوصول إلى ذلك الهدف ينبغي استـناد أعماله إلى قوانين وآداب خاصّة موضوعة من قِبل دين أو غيره.

والقـرآن الكريم نفسـه يؤيّد هـذه النظريّة حيث يقـول: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[٢].

٣ ـ ضرورة موافقة القوانين للفطرة الإنسانيّة:

ينبغي أن تكون القوانين والأنظمة والآداب موافقة للفطرة السـليمة، وليسـت نابعة من العواطف والاندفاعات الفرديّة أو الاجتماعيّة.

هذا شأن الكون كلّه، سعادته وكماله، باتّباع ما فطره وخلقه اللّه عليه.

يقول تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٣].

ويقول: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٤]. ويقول: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا * قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٥].

(١) سورة الأعلى، الآية ١٧

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٥) سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠.

ويقول: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[1].

ويقول: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2].

ويقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[3].

وبعد وضوح هذه المقدّمات، نشير إلى أنّ القرآن الكريم وضع مناهج الحياة للإنسان:

فقد جعل أساس المنهج معرفة اللّه، وجعل الاعتقاد بوحدانيّته أوّل الأصول الدينيّة. ومن طريق معرفة اللّه دلّه على المعاد، والاعتقاد بيوم القيامة؛ الّذي يُجازى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وجعله أصلاً ثانياً. ثمّ من طريق الاعتقاد بالمعاد دلّه على معرفة النبيّ لأنّ الجزاء على الأعمال لا يمكن إلّا بعد معرفة الطاعة والمعصية والحسن والسيّئ. ولا تتأتّى هذه المعرفة إلّا من طريق الوحي والنبوّة، وجعل هذا أصلاً ثالثاً.

واعتبر القرآن الكريم هذه الأصول - الاعتقاد بالتوحيد والنبوّة الّتي يتفرّع منها الإمامة والمعاد والّذي يتفرّع منه العدل- أصول الدين الإسلاميّ.

وبعد هذا بيّن أصول الأخلاق المُرضية والصفات الحسنة الّتي تُناسب الأصول الثلاثة، والّتي لا بدّ أن يتحلّى بها كلّ إنسان مؤمن، ثمّ شرّع له القوانين والأنظمة العمليّة الّتي تضمن سعادته الحقيقيّة، وتنمّي فيه الأخلاق الطيّبة.

ونتيجة القول: إنّ القرآن الكريم يحتوي على منابع أصول الإسلام الثلاثة كما يلي:

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

١- أصول العقائد، وهي تنقسم إلى أصول الدين التوحيد والنبوّة المعاد.

٢ - الأخلاق.

٣ - الأحكام الشرعيّة والقوانين العمليّة الّتي بيّن القرآن أسسها، وأوكل بيان تفاصيلها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل النبيّ بيان أهل بيته عليهم السلام بمنزلة بيانه كما يُعرف ذلك من حديث الثقلين المتواتر نقله عند السُنّة والشيعة.

القرآن معجزة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الخالدة:

يصرّح القرآن الكريم في عدّة مواضع بأنّه كلام الله المجيد؛ يعني أنّه صادرعن الله تعالى بهذه الألفاظ الّتي نقرأها، وقد تلقّاها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الألفاظ بواسطة الوحي.

ولإثبات أنّه من كلام الله تعالى وليس ممّا أبدعه البشر؛ تحدّى الله سبحانه في آي من القرآن الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله بل بعشر سور مثله بل بسورة واحدة من مثله، ولو كان الإنس والجنّ متظاهرين معاً عليه، وهذا دليل على إعجاز القرآن، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾[1].

وقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2].

وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ﴾[3].

وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾[4].

وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[5].

(١) سورة طور، الآيتان: ٣٣ ـ ٣٤.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٣) سورة هود، الآية: ١٣.
(٤) سورة يونس، الآية: ٣٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

والملاحظ أنّ التحدّي الإلهيّ للمشركين- وقد كانوا من أفصح العرب وأبلغهم-تدرّج من مجموع القرآن إلى بعض منه، دون أن يُحدّد بزمان، بل كان وقت التحدّي مطلقاً، فلو كان هؤلاء قادرين على المواجهة لفعلوا ولكنّهم كانوا أعجز من ذلك، فثبت أنّ هذا الكلام إلهيّ موحى من اللّه سبحانه وتعالى أنزله على نبيّه نوراً وهدى للناس وتصديقاً بنبوّة الرسول الخاتم محمّد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

والمتتبّع يرى أنّ ما كان يمنع هؤلاء من الإقرار بنبوّته ﷺ وبأحقّيّة ما جاء به ليس إلّا الهوى والحميّة الجاهليّة لا غير.

قال اللّه تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾(٣).

وقد أشار الجاحظ إلى ذلك حيث قال: «**بعث الله محمّداً ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة، وأشدّ ما كانت عدّة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجّة، فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الّذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحميّة دون الجهل والحيرة، حملهم على حظّهم بالسيف، فنصب لهم الحرب، ونصبوا له...**»(٤).

هذا وللحديث عن إعجاز القرآن وجهات إعجازه كتب وبحوث كثيرة، ولا يتسنّى لنا في هذا المختصر التفصيل فيه.

(١) سورة يونس، الآية: ٣٧.
(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.
(٣) سورة المدثر، الآية: ١٦.
(٤) نقله عنه السيوطي في الإتقان: ج ٢، ص ١١٧.

من خصائص القرآن الكريم

١ ـ سلامته من التحريف:

من الخصائص المهمّة للقرآن الكريم أنّه محفوظ عن التحريف، وهذا بخلاف الإنجيل والتوراة اللّذين حُرِّفا حذفاً وإضافة، يقول سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ...﴾[١].

وهناك كتب وبحوث كثيرة أثبتت تحريفهما ما أزال صفة الوحي والقدسيّة عنهما.

أمّا القرآن الحكيم فقد بقي مصوناً محفوظاً بحفظ الله ورسوله، وإليكم بعض ما يدلّ على بقائه كما أنزله الله تعالى :

١. القرآن نفسه: وذلك لتواتره بين المسلمين، وعدم الاختلاف فيه، وقد نزل على قلب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ٢٣ سنة دون تراجع أو تقدّم في البلاغة والفصاحة وحسن البيان، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٢].

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٣]، وبهذه الآية المتواترة القطعيّة ثبت أن لا زيادة فيه، فهل فيه نقيصة؟

يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٤].

فالذكر هنا هو القرآن، والمراد من حفظه إبقاؤه على ما كان عليه وكما نزل

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(٣) سورة فصّلت، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.

علـى النبـيّ ﷺ. فلو فرض إسـقاط آية منه فلا يكون حينئـذ محفوظاً من قبل الله، جلّ الله عن ذلك وعلا علوّاً كبيراً.

٢ - **الروايات الصحيحة عن بيت العصمة والطهارة**، حيث تدلّ على أنّ ما بين الدفّتين تمام ما أنزل، من دون نقيصة أو تحريف، وهي على أنواع، منها:

أ- الأخبـار الواردة في بيان الثواب لسـور القرآن الكاشـفة عن عدم تحريف السور لأنّه لا معنى للثواب على قراءة السور المحرّفة.

ب- الأخبـار الدالّـة على لزوم عرض الأخبار مطلقاً، أو عند تعارضـها، على كتـاب الله، حيث إنّـه لا معنى لعرضـ الأخبار على القـرآن المحرّف، ما يكشف عن صحّته وعدم وقوع التحريف فيه.

ج- الأخبار الدالّة على وجوب التمسّك بالقرآن، كقوله ﷺ: «**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي**»[(١)]. وأسـانيدها لا تقبل المناقشـة عند أحد من المسلمين. فلو كان الكتاب محرّفاً لما كان للتمسك به معنى.

٣ - إنّه لو سقط من القرآن شيءلم تبقَ ثقة في الرجوع إليه.

٤ - إنّ شـدّة الاهتمام والضـبط في عصر النبيّ ﷺ وبعده في حفظ الكتاب أخرج سقوط شيء منه عن مجرى العادة.

٢ - القرآن كتاب عالميّ:

لا يختصّ القـرآن بالعـرب أو بالمسـلمين،إنّما هو كتاب لـكلّ الناس بجميع ألوانهم وأعراقهم، يقول تعالـى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٢)].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ * نَذِيرًا لِّلۡبَشَرِ﴾[(٣)].

(١) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٦٢ ح ٢٧٨٦ و ٢٧٨٨، صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٧٤ ح ٣٦ و ٣٧، ينابيع المودة: ج ١ ص ٩٥ ح ١٢٦، الكافي: ج ٢ ص ٤١٥ باب أدنى ما يكون به العبد مؤمنا أو كافرا أو ضالا من كتاب الإيمان والكفر ح ١، وغيرها من مصادر الفريقين.

(٢) سورة ص، الآية: ٨٧.

(٣) سورة المدّثر، الآيتان: ٣٥ - ٣٦.

٣ـ القرآن كتاب شامل:

ففيه كلّ ما يحتاج إليه الإنسان في سيره التكامليّ نحو السعادة من أسس العقائد إلى تنظيم المجتمع وأخلاق المعاملة وأدب العبادة وتنظيم حياة الناس. يقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[١].

٤ - القرآن كتاب لكلّ زمان ومكان:

يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾[٢].

القرآن هدفه تعريف الإنسان بنفسه وبربّه ودنياه وآخرته والسبل الآيلة لخلوصه من هذه الدنيا سعيداً وحياته فيها معافى، وهذا غير متعلّق بزمان أو مكان، ففي القرآن الحقائق الثابتة، الّتي لا يتطرّق إليها البطلان ولا تنسخ بمضيّ القرون والأعوام، يقول تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾[٣].

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٢) سورة الطارق، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٠٥.



خلاصة

رسم القرآن مناهج الإنسان الحياتيّة باعتماد المقدّمات التالية:

١ ـ السعادة غاية الإنسان.

٢ ـ ضرورة القوانين والأنظمة.

٣ ـ ضرورة موافقة القوانين للفطرة الإنسانيّة.

وجعل أساس المنهج معرفة الله، وجعل الاعتقاد بوحدانيّته أوّل الأصول الدينيّة، ومنه تفرّعت باقي الأصول.

ويحوي القرآن الكريم منابع أصول الإسلام الثلاثة كما يلي:

١ – أصول العقائد، وهي تنقسم إلى أصول الدين التوحيد والنبوّة والمعاد وما يتفرّع عليها من الإمامة والعدل.

٢ – مكارم الأخلاق.

٣ – الأحكام الشرعيّة والقوانين العمليّة.

والقرآن معجزة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الخالدة الّتي تحدّى الله تعالى بها المشركين المكذبين تحدّياً دائماً ليوم القيامة فقال: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾[١].

من خصائص القرآن الكريم

١ ـ سلامته من التحريف.

٢ ـ القرآن كتاب عالميّ.

٣ ـ القرآن كتاب شامل.

٤ ـ القرآن كتاب لكلّ زمان ومكان.

(١) سورة يونس، الآية: ٣٨.



للمطالعة

القرآن والإتقان في المعاني

تعرّض القرآن الكريم لمواضيع كثيرة العدد، متباعدة الأغراض من الإلهيّات والمعارف، وبدء الخلق والمعاد، وما وراء الطبيعة من الروح والملك وإبليس والجنّ، والفلكيّات، والأرض، والتاريخ، وشؤون فريق من الأنبياء الماضين، وما جرى بينهم وبين أممهم، وللأمثال والاحتجاجات والأخلاقيّات، والحقوق العائلية، والسياسات المدنيّة، والنُّظُم الاجتماعيّة والحربيّة، والقضاء والقدر، والكسب والاختيار، والعبادات والمعاملات، والنكاح والطلاق، والفرائض، والحدود والقصاص وغير ذلك. وقد أتى في جميع ذلك بالحقائق الراهنة، الّتي لا يتطرّق إليها الفساد والنقد في أيّة جهة من جهاتها، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. وهذا شيء يمتنع وقوعه عادة من البشر - ولا سيّما ممّن نشأ بين أمّة جاهلة لا نصيب لها من المعارف، ولا غيرها من العلوم - ولذلك نجد كلّ من ألّف في علم من العلوم النظريّة، لا تمضي على مؤلّفه مدّة حتّى يتّضح بطلان كثير من آرائه. فإنّ العلوم النظريّة كلّما ازداد البحث فيها وكثر، ازدادت الحقائق فيها وضوحاً، وظهر للمتأخّر خلاف ما أثبته المتقدّم. والحقيقة - كما يقولون - بنت البحث، وكم ترك الأوّل للآخر، ولهذا نرى كتب الفلاسفة الأقدمين، ومن تأخّر عنهم من أهل التحقيق والنظر، قد صارت عرضة لسهام النقد ممّن تأخّر، حتّى أنّ بعض ما اعتقده السابقون برهاناً يقينيّاً، أصبح بعد نقده وهماً من الأوهام، وخيالاً من الأخيلة.

والقرآن مع تطاول الزمان عليه، وكثرة أغراضه، وسموّ معانيه، لم يوجد فيه ما يكون معرّضاً للنقد والاعتراض، اللهمّ إلّا أوهام من بعض المكابرين، حسبوها من النقد[١].

(١) البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٦٧ - ٦٨.



الدرس الثاني

أسماء القرآن وعلومه ومعارفه



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى أسماء القرآن.

٢. أن يتبيّن علوم القرآن.

٣. أن يستذكر معارف القرآن.





أسماء القرآن

القــرآن الكريم الّذي هــو كتاب المســلمين الأوّل، والّذي حــاز الاهتمام البالــغ من قِبَلهم، والّــذي هو المعجزة الخالدة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والّذي هو وصــيّة النبــيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمحافظة عليه مع العترة الطاهرة، له أوصــاف وأســماء عدّة، نذكر منها:

١- **القــرآن:** ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١]. وتشير تســميته بـ(**القــرآن**) إلى حفظه في الصــدور نتيجــة لكثرة قراءته، وتــرداده على الألســن، لأنّ القرآن مصــدر القراءة، وفي القراءة استذكار واستظهار للنصّ.

٢- **الكتاب:** قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وفي تســمية الــكلام الإلهيّ بـ(**الكتاب**) اشــارة إلــى الترابط بين مضــامينه ووحدتها في الهدف والاتّجاه، بالنحو الّذي يجعل منها كتاباً واحداً.

٣- **الفرقان:** قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٣].

(١) سورة يونس، الآية: ٣٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.

فالقرآن يفرق بين الحقّ والباطل، باعتباره مقياساً إلهيّاً مائزاً بين موضوعات الحياة.

٤- الذِّكر: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾[1]، ومعناه الشرف، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2].

وهناك ألفاظ عديدة أُطلقت على القرآن الكريم على سبيل الوصف لا التسمية **كالمجيد، والعزيز، والعليّ**، في قوله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾[3]، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[4]، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[5].

والنور، والموعظة، والتنزيل، والحقّ، والبيان، والمنير، والقصص، والسراج، والبشير، والنذير وغيرها الواردة في آي القرآن نفسها أو في الأحاديث.

تعظيم القرآن مكانة العلم والحثّ على طلبه

قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[6].

هذه الآيات هي على المشهور؛ أوَّل ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله محمَّد ﷺ. والملفت للانتباه أنّها تأمره أوَّل ما تأمره بالقراءة. فماذا يعني أن تضمَّ الآيات الخمس الأولى ستَّ عبارات تتعلّق بالقراءة والكتابة، والعلم والتعليم؟ إنّ هذه الآيات تشكِّل افتتاحيَّة وحي السماء، وهذا يعني اهتمام القرآن الكريم بالعلم والمعرفة.

لقد عظّم القرآن الكريم مكانة العلم تعظيماً لم يسبق له مثيل في الكتب

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠.
(٣) سورة البروج، الآية: ٢١.
(٤) سورة فصّلت، الآية: ٤١.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٤.
(٦) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

السـماويّة الأخرى، ويكفي أنّه نعت العصـر العربيّ قبل الاسـلام بـ«**الجاهليّة**»، وفيه مئات من الآيات يذكر فيها العلم والمعرفة وفي أكثرها ذُكرت جلالة العلم ورفيع منزلته، وقد ذُكر جذر «**علم**» ٤٨٤ مرّة...

قال تعالى ممتنّاً على الانسان: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

وقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١].

وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾[٢].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الّتي تشير إلى فضل العلم.

وفي أحاديث الرسـول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام شـواهد لا تُحصر في الحثّ على طلب العلم وأهمّيّته وعظيم شـأنه. ولا شـكّ أن للعلوم مقامات متفاوتة، ولا شكّ أيضاً أنّ من أشرفها مقاماً علوم القرآن.

علوم القرآن

لشـدّة اهتمام المسـلمين بالقرآن الكريم واعتمادهم عليه، كمصدر أساس للعلم والمعرفة، وكمرجع أوّل للفصل والقول الحقّ، نشأت علوم مختلفة محورها وموضـوعها القرآن الكريـم، لكن على علم يبحث عن جهـة معيّنة، كان الجامع بينها تصنيف واحد هو علوم القرآن الكريم.

وهـي جميع المعلومات والبحـوث الّتي تتعلّق بالقـرآن الكريم. وتختلف هذه العلوم في الناحية والجهة الّتي تتناولها من الكتاب الكريم.

فالقـرآن له اعتبـارات متعدّدة. وهو بكلّ واحدة من تلك الاعتبارات موضـوع لبحث خاصّ.

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورةالزمر، الآية: ٩.

١- **علم التفسير:**

وأهـمّ تلك الاعتبارات: القرآن بوصـفه كلاماً دالّاً علـى معنى، والقرآن بهذا الوصف موضوع لعلم التفسير.

فعلم التفسـير يشـتمل على دراسـة القرآن باعتباره كلاماً ذا معنى، فيشرح معانيه، ويفصّل القول في مدلولاته، ومقاصده.

ولأجل ذلك كان علم التفسير من أهمّ علوم القرآن وأساسها جميعاً.

٢- **آيات الأحكام:**

ويُعتبر القرآن مصـدراً من مصادر التشـريع، وبهذا الاعتبار يكون موضوعاً لعلـم آيات الأحـكام. وهو علم يختصّ بآيات الأحكام من القـرآن، ويدرس نوع الأحكام الّتي يمكن استخراجها بعد المقارنة بجميع الأدلّة الشرعيّة الأخرى من سنّة، وإجماع، وعقل.

٣- **علم الإعجاز:**

وقد يؤخذ القرآن بوصـفه دليلاً على نبوّة النبيّ محمّد ﷺ فيكون موضـوعاً لعلـم إعجاز القرآن، وهو علم يعتبر: أنّ الكتاب الكريم وحي إلهيّ ويسـتدلّ على ذلك بالصفات والخصائص الّتي تميّزه عن الكلام البشريّ.

٤- **إعراب القرآن:**

وقد يؤخذ القرآن باعتباره نصّاً عربيّاً جارياً وفق اللغة العربيّة فيكون موضوعاً لعلم إعراب القرآن، وعلم البلاغة القرآنيّة. وهما علمان يشرحان مجيء النصّ القرآنيّ وفق قواعد اللغة العربيّة في النحو والبلاغة.

٥- **أسباب النزول:**

وقد يؤخذ القرآن بوصـفه مرتبطـاً بوقائع معيّنة في عهـد النبيّ ﷺ فيكون موضوعاً لعلم أسباب النزول.

٦- **رسم القرآن:**

وقد يؤخذ القرآن باعتبار لفظه المكتوب، فيكون موضوعاً لعلم رسم القرآن، وهو علم يبحث في رسم القرآن، وطريقة كتابته.

٧- **القراءات والتجويد:**

وقد يُعتبر بما هو كلام مقروء، فيكون موضوعاً لعلم القراءة أو تجويد القرآن، وهو علم يبحث في ضبط حروف الكلمات القرآنيّة وحركاتها، وطريقة قراءتها.

إلى غير ذلك من البحوث الّتي تتعلّق بالقرآن، فإنّها جميعاً تلتقي وتشترك في اتّخاذها القرآن موضوعاً لدراستها، وتختلف في الناحية الملحوظة فيها من القرآن الكريم.

تاريخ علوم القرآن

كان الناس على عهد النبيّ ﷺ يستمعون إلى القرآن، ويفهمونه بذوقهم العربيّ الخالص، ويرجعون إلى الرسول ﷺ في توضيح ما يشكل عليهم فهمه، أو ما يحتاجون فيه إلى شيء من التفصيل والتوسّع.

فكانت علوم القرآن تؤخذ وتُروى عادة بالتلقين والمشافهة، حتّى مضت سنون على وفاة النبيّ ﷺ، وتوسّعت الفتوحات الإسلاميّة، وبدرت بوادر تدعو إلى الخوف على علوم القرآن، والشعور بعدم كفاية التلقّي عن طريق التلقين والمشافهة، نظراً إلى بعد العهد بالنبيّ ﷺ نسبيّاً واختلاط العرب بشعوب أخرى، لها لغاتها وطريقتها في التكلّم والتفكير، فبدأت لأجل ذلك حركة في صفوف المسلمين الواعين لضبط علوم القرآن ووضع الضمانات اللّازمة لوقايته وصيانته من التحريف.

وقد سبق الإمام عليّ عليه السلام غيره في الإحساس بضرورة اتّخاذ هذه

الضمانات، فانصرف عقيب وفاة النبيّ ﷺ مباشرة إلى جمع القرآن.

ففي الفهرست لابن النديم، أنّ عليّاً عليه السلام حين رأى من الناس عند وفاة النبيّ ﷺ ما رأى؛ أقسم أنّه لا يضع على عاتقه رداءه حتّى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيّام، حتّى جمع القرآن. وسيأتي الكلام عن ذلك في البحث عن جمع القرآن. وما نقصده الآن من ذلك، أنّ الخوف على سلامة القرآن والتفكير في وضع الضمانات اللّازمة، بدأ في ذهن الواعين من المسلمين، عقيب وفاة النبيّ ﷺ، وأدّى إلى القيام بمختلف النشاطات. وكان من نتيجة ذلك (علوم القرآن)، وما استلزمته من بحوث وأعمال.

وهكذا كانت بدايات علوم القرآن، وأُسُسها الأولى على يد الصحابة والطليعة من المسلمين في الصدر الأوّل، الّذين أدركوا النتائج المترتّبة على البعد الزمنيّ عن عهد النبيّ ﷺ والاختلاط بمختلف الشعوب.

فأساس علم إعراب القرآن وُضع تحت إشراف الإمام عليّ عليه السلام، اذ أمر بذلك أبا الأسود الدؤليّ وتلميذه يحيى بن يعمر العدوانيّ، رائدَي هذا العلم والواضعَين لأُسُسه؛ فإنّ أبا الاسود هو أوّل من وضع نقط المصحف. وتُروى قصّة في هذا الموضوع، تشير إلى شدّة غيرته على لغة القرآن، فقد سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[1] فقرأها بجرّ اللام من كلمة (رسوله) فأفزع هذا اللحن أبا الأسود الدؤليّ وقال: عزَّ وجه اللّه أن يتبرّأ من رسوله، فعزم على وضع علامات معيّنة تصون الناس في قراءتهم من الخطأ، وانتهى به اجتهاده إلى أن جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله، وجعل علامة الضمّة نقطة بين أجزاء الحرف، وجعل علامة السكون نقطتين[2].

(١) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٢) علوم القرآن، السيّد محمّد باقر الحكيم، ص٢٢.

يدعو القرآن الكريم في كثير من آياته إلى التفكّر في الآيات السماويّة والنجوم المضيئة، والاختلافات العجيبة في أوضاعها والنظام المتقن الّذي تسير عليه.

ويدعو إلى التفكّر في خلق الأرض والبحار والجبال والأودية وما في بطون الأرض من العجائب، واختلاف الليل والنهار وتبدّل الفصول السنويّة.

ويدعو إلى التفكّر في عجائب النبات والنظام الّذي يسير عليه وفي خلق الحيوانات وآثارها، وما يظهر منها في الحياة.

ويدعو إلى التفكّر في خلق الإنسان نفسه والأسرار المودعة فيه، بل يدعو إلى التفكّر في النفس وأسرارها الباطنيّة وارتباطها بالملكوت الأعلى. كما يدعو إلى السير في أقطار الأرض والتفكّر في آثار الماضين والفحص في أحوال الشعوب والجوامع البشريّة وما كان لهم من القصص والتواريخ والعبَر.

بهذا الشكل الخاصّ يدعو القرآن إلى تعلّم العلوم الطبيعيّة والرياضيّة والفلسفيّة والأدبيّة وسائر العلوم الّتي يمكن أن يصل إليها الفكر الإنسانيّ. يحثّ على تعلّمها لنفع الإنسانيّة وإسعاد القوافل البشريّة.

وهذه بعض الشواهد الَّتي حفَّزت المسلمين الأوائل على سلوك المنهج العلميّ، وتتبُّع طرائقه:

يقول سبحانه وتعالى في سورة فاطر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1]...

وفي قوله سبحانه وتعالى في سورة الذاريات: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[2] نجدها دعوة لتقصّي علوم طبقات الأرض (الجيولوجيا).. ثمَّ يتبع تعالى ذلك

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٠.

بقوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1] لتكون دعوة للاستزادة والتوسّع في علوم الطبّ والتشريح؛ بل وفي علم النفس أيضاً.

وفي قوله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[2]، وكذلك في قوله تعالى في سورة يونس: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[3]، نجد في كلّ ذلك نداء لعلماء الفلك؛ للمضيِّ قُدُماً في متابعة هذا العلم...

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الّتي تفتح للعلماء آفاقاً علمية ومعرفية واسعة في كافّة مجالات العلم...

نعم يدعو القرآن إلى هذه العلوم شريطة أن تكون سبيلاً لمعرفة الحقّ والحقيقة ومرآة لمعرفة الكون الّتي في مقدّمتها معرفة الله تعالى.

وأمّا العلم الّذي يشغل الإنسان عن الحقّ والحقيقة فهو في قاموس القرآن مرادف للجهل، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ﴾[5].

فالقرآن الكريم بترغيبه في تعلّم مختلف العلوم، يعلّم دورة كاملة من المعارف الإلهيّة وكلّيّات الأخلاق والفقه الإسلاميّ.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.
(٣) سورة يونس، الآية: ٥.
(٤) سورة الروم، الآية: ٧.
(٥) الجاثية، الآية: ٢٣.

خلاصة

من أسماء القرآن: القرآن، الفرقان، الذكر، والنور وغيرها...

عظّم القرآن الكريم مكانة العلم تعظيماً لم يسبق له مثيل في الكتب السماويّة الأخرى. ولا شكّ أنّ للعلوم مقامات متفاوتة، ولا شكّ أيضاً أنّ من أشرفها مقاماً علوم القرآن.

وعلوم القرآن هي جميع المعلومات والبحوث الّتي تتعلّق بالقرآن الكريم. وتختلف هذه العلوم في الناحية الّتي تتناولها من الكتاب الكريم.

ومن هذه العلوم القرآنيّة: علم التفسير، علم آيات الأحكام، علم إعجاز القرآن، وعلم رسم القرآن، وغيرها...

كانت بدايات علوم القرآن وأسسها الأولى على يد الصحابة والطليعة من المسلمين في الصدر الأوّل - وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام - الّذين أدركوا النتائج المترتّبة على البعد الزمنيّ عن عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والاختلاط بمختلف الشعوب.

يدعو القرآن الكريم إلى التفكّر وطلب المعارف كما ويكشف العديد من الأسرار الكونيّة ويدعو للبحث عنها وفيها، ويعلّم دورة كاملة من المعارف الإلهيّة وكلّيّات الأخلاق والفقه الإسلاميّ.

الاستقامة في أساليب القرآن

... أحسّت العرب بهذه الاستقامة في أساليب القرآن، واستيقنت بذلك بلغاؤهم. وإنّ كلمة الوليد بن المغيرة في صفة القرآن تفسّر لنا ذلك، حيث قال، حين سأله أبو جهل أن يقول في القرآن قولاً:

«فما أقول فيه؟ فواللّه ما منكم رجل أعلم في الأشعار منّي ولا أعلم برجزه منّي، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ. واللّه ما يشبه الّذي يقول شيئاً من هذا، وواللّه إنّ لقوله لحلاوة، وإنّه ليحطّم ما تحته، وإنّه ليعلو ولا يُعلى.

قال أبو جهل: واللّه لا يرضى قومك حتّى تقول فيه.

قال الوليد: فدعني حتّى أفكّر فيه، فلما فكّر. قال:

هذا سحر يأثره عن غيره»[١]..

وفي بعض الروايات قال الوليد:

«**واللّه لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ومن كلام الجنّ، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وما يقول هذا بشر**»[٢].

وإذا أردت أن تحسّ ذلك من نفسك فانظر إلى الكتب المنسوبة إلى الوحي، فإنّك تجدها متناقضة المعاني، مضطربة الأسلوب، لا تنهض ولا تتماسك. وإذا نظرت إلى كتب العهدين، وما فيها من تضارب وتناقض، تجلّت لك حقيقة الأمر، وبان لك الحقّ من الباطل. وهنا نذكر أمثلة ممّا وقع في الأناجيل من هذا الاختلاف:

(١) تفسير الطبري، ج ٢٩، ص ٩٨.
(٢) تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ٧٢.

١ – في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل متّى، والحادي عشر من لوقا: أنّ المسيح قال: «**من ليس معي فهو عَليّ، ومن لا يجمع معي فهو يفرّق**».

وقال في التاسع من مرقس، والتاسع من لوقا: «**من ليس علينا فهو معنا**».

٢ – وفي التاسع عشر من متّى، والعاشر من مرقس، والثامن عشر من لوقا: أنّ بعض الناس قال للمسيح: «**أيّها المعلّم الصالح. فقال: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلّا واحد وهو الله**». وفي العاشر من يوحنّا أنّه قال: «**أنا هو الراعي الصالح... أمّا أنا فإنّي الراعي الصالح**».

٣ – وفي السابع والعشرين من متّى قال: «**كان اللّصّان اللّذان صُلبا معه – المسيح – يعيّرانه**»، وفي الثالث والعشرين من لوقا: «**وكان واحد من المذنبين المعلّقين يجدّف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وإيّانا، فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أوَ لا تخاف الله؟ إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه**».

٤ – وفي الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنّا: «**إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقّاً**». وفي الثامن من هذا الانجيل نفسه أنّه قال: «**وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حقّ**».

هذه نبذة ممّا في الأناجيل – على ما هي عليه من صغر الحجم – من التضارب والتناقض. وفيها كفاية لمن طلب الحقّ، وجانَبَ التعصّبَ والعناد[١].

(١) البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٥٦ – ٥٨.





الدرس الثالث

فضل القرآن وتلاوته



أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب فضل القرآن في القرآن.

٢. أن يتبيّن فضل القرآن في كلام العترة.

٣. أن يتعرّف إلى صفة القرآن الكريم.





مـن الخير أن يقف الإنســان دون ولوجِ هــذا الباب، وأن يتصــاغر أمام هذه العظمة، وقد يكون الاعتراف بالعجز خيراً من المضيّ في البيان.

ماذا يقول الواصف في عظمة القرآن، وعلوّ كعبه؟ وماذا يقول في بيان فضله، وسموّ مقامه؟ وكيف يستطيع الممكن أن يدرك مدى كلام الواجب؟ وماذا يكتب لكاتب في هذا الباب؟ وبمَ يتفوّه الخطيب؟ وهل يصف المحدود إلّا محدوداً؟

القرآن في القرآن

وحســبُ القرآن عظمة، وكفـاه منزلةً وفخراً أنّــه كلام اللّه العظيم، ومعجزة نبيّه الكريم، وأنّ آياته هي المتكفّلة بهداية البشــر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1].

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[2].

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

القرآن في كلام العترة

وقد ورد في الأثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**»[1].

نعم من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وأن يَكِلَ بيان فضل القرآن إلى نظراء القرآن أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم أعرف الناس بمنزلته، وأدلّهم على سموّ قدره، وهم قرناؤه في الفضل، وشركاؤه في الهداية، أمّا جدّهم الأعظم فهو الصادع بالقرآن، والهادي إلى أحكامه، والناشر لتعاليمه. وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[2]. فالعترة هم الأدلّاء على القرآن، والعالمون بفضله.

فمن الواجب أن نقتصر على أقوالهم، ونستضيء بإرشاداتهم. ولهم في فضل القرآن أحاديث كثيرة جمعها شيخنا المجلسيّ في (البحار) المجلّد التاسع والثمانين منه. نذكر منها:

قال الحارث الهمدانيّ: «**دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث فدخلت على عليّ عليه السلام فقلت: ألا ترى أن أناساً يخوضون في الأحاديث في المسجد؟ فقال عليه السلام: قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال عليه السلام: أما إنّي قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ستكون فتن، قلت: وما المخرج منها؟ قال عليه السلام: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، هو الّذي مَن تركه من جبّار قصمه الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن**

(١) بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٦، صحيح الترمذي بشرح ابن العربي، ج ١١، ص ٤٧، أبواب فضائل القرآن.
(٢) رواه الترمذي، ج ١٣، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه. وهو الّذي لم ينته الجنّ إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[1]، هو الّذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم»[2].

قبسات من الحديث

وفي الحديث مغازٍ جليلة يحسن أن نتعرّض لبيان أهمّها. يقول ﷺ: «**فيه نبأ ما كان قبلكم. وخبر ما بعدكم**» والّذي يحتمل في هذه الجملة وجوه:

الأوّل: أن تكون إشارة إلى أخبار النشأة الأخرى من عالمَي البرزخ والحساب والجزاء على الأعمال. ولعلّ هذا الاحتمال هو الأقرب، ويدلّ على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: «**فيه نبأ من كان قبلكم والحكم فيما بينكم وخبر معادكم**».

الثاني: أن تكون إشارة إلى المغيّبات الّتي أنبأ عنها القرآن، ممّا يقع في الأجيال المقبلة.

الثالث: أن يكون معناها أنّ حوادث الأمم السابقة تجري بعينها في هذه الأمّة، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[3].

أمّا قوله ﷺ: «**من تركه من جبّار قصمه الله**» فلعلّ فيه ضماناً بحفظ القرآن من تلاعب الجبّارين، بحيث يؤدّي ذلك إلى ترك تلاوته وترك العمل به، وإلى جمعه من أيدي الناس كما صنع بالكتب الإلهيّة السابقة. فتكون إشارة إلى حفظ القرآن من التحريف. وهذا أيضاً هو معنى قوله في الحديث: «**لا تزيغ به الأهواء**» بمعنى لا تغيّره عمّا هو عليه، لأنّ معاني القرآن قد زاغت

(١) سورة الجن، الآية ١.
(٢) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٤.
(٣) سورة االانشقاق، الآية: ١٩.

بها الأهواء فغيّرتها. وأشار الحديث إلى أن أبناء الأمّة لو رجعوا إلى القرآن في خصوماتهم، وما يلتبس عليهم في عقائدهم وأعمالهم لأوضح لهم السبيل، ولوجدوه الحكم العدل، والفاصل بين الحقّ والباطل.

فلو أقامت الأمّة حدود القرآن، واتّبعت مواقع إشاراته وإرشاداته، لعرفت الحقّ وأهله، وعرفت حقّ العترة الطاهرة الّذين جعلهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قرناء الكتاب، وأنّهم الخلفاء على الأمّة من بعده، ولو استضاءت الأمّة بأنوار معارف القرآن، لأمنت العذاب الواصب، ولما تردّت في العمى، ولا غشيتهم ليالي الضلال، ولا ضُيّع سهم من فرائض اللّه، ولا زلّت قدم عن الصراط السويّ، ولكنّها أبت إلّا الانقلاب على الأعقاب، واتّباع الأهواء، والانضواء إلى راية الباطل حتّى آل الأمر إلى أن يكفّر بعض المسلمين بعضاً، ويتقرّب إلى اللّه بقتله، وهتك حرمته، وإباحة ماله، وأيّ دليل على إهمال الأمّة للقرآن أكبر من هذا التشتّت العظيم؟!!

صفة القرآن

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن:

«ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقاناً لا يُخمد برهانه، وتبياناً لا تُهدم أركانه، وشفاءً لا تُخشى أسقامه، وعزّاً لا تُهزم أنصاره، وحقّاً لا تُخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحقّ وغيطانه، وبحر لا يُنزفه المنتزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضلّ نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله اللّه ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجَّ لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً

ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزّاً لمن تولّاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتمّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، وآيةً لمن توسّم، وجُنّة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى»[1].

وقد استعرضت هذه الخطبة الشريفة كثيراً من الأمور المهمّة الّتي يجب الوقوف عليها، والتدبّر في معانيها. فقوله:

١- «**لا يخبو توقّده**» خبت النار: خمد لهبها. يريد بقوله هذا وبكثير من جمل هذه الخطبة أنّ القرآن لا تنتهي معانيه، وأنه غضّ جديد إلى يوم القيامة. فقد تنزل الآية في مورد أو في شخص أو في قوم، ولكنّها لا تختصّ بذلك المورد أو ذلك الشخص أو أولئك القوم، فهي عامّة المعنى.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إنّ القرآن حيّ لم يمت، وإنّه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا»**[2].

٢- «**ومنهاجاً لا يضلّ نهجه**»: إنّ القرآن طريق لا يضلّ سالكه، فقد أنزله الله تعالى هداية لخلقه، فهو حافظ لمن اتّبعه عن الضلال.

٣- «**وتبياناً لا تهدم أركانه**»: المحتمل في المراد من هذه الجملة أحد وجهين:

الأوّل: أنّ أركان القرآن في معارفه وتعاليمه، وجميع ما فيه من الحقائق. محكمة لا تقبل التضعضع والانهدام.

---

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص١٧٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٣٥، ص٤٠٤.

الثاني: أنّ القرآن بألفاظه لا يتسرّب إليه الخلل والنقصان، فيكون فيها إيماء إلى حفظ القرآن من التحريف.

٤- «**ورياض العدل وغدرانه**»: الرياض جمع روضة، وهي الأرض الخضرة بحسن النبات. العدل بمعنىالاستقامة، والغدران جمع غدير وهو الماء الّذي تغدره أي تنتجه السيول. معنى هذه الجملة: أنّ العدل بجميع نواحيه من الاستقامة في العقيدة والعمل والأخلاق قد اجتمع في الكتاب العزيز، فهو مجمع العدالة وملتقى متفرّقاتها.

٥- «**وأثافي الإسلام**»: الأثافيّ كأمانيّ جمع أثفيّة - بالضمّ والكسر - وهي الحجارة الّتي توضع عليها القدر. ومعنى ذلك: أنّ استقامة الإسلام وثباته بالقرآن كما أنّ استقامة القدر على وضعها الخاص تكون بسبب الأثافيّ.

٦- «**وأودية الحقّ وغيطانه**»: يريد بذلك: أنّ القرآن منبت الحقّ، وفي الجملة تشبيه القرآن بالأرض الواسعة المطمئنّة، وتشبيه الحقّ بالنبات النابت فيها. وفي ذلك دلالة على أن المتمسّك بغير القرآن لا يمكن أن يصيب الحقّ، لأنّ القرآن هو منبت الحقّ، ولا حقّ في غيره.

٧- «**وبحر لا ينزفه المنتزفون**»: نزف ماء البئر: نزح كله. ومعنى هذه الجملة والجمل الّتي بعدها: أنّ المتصدّين لفهم معاني القرآن لا يصلون إلى منتهاه، لأنّه غير متناهي المعاني، بل وفيها دلالة على أنّ معاني القرآن لا تنقص أصلاً، كما لا تنضب العيون الجارية بالسقاية منها.

٨-«**وآكام لا يجوز عنها القاصدون**»: والآكام جمع أكم، كقصب، وهو جمع أكمة، كقصبة، وهي التلّ. والمراد أنّ القاصدين لا يصلون إلى أعالي الكتاب ليتجاوزوها. وفي هذا القول إشارة إلى أنّ للقرآن بواطن لا تصل إليها أفهام أولي الأفهام.

وقد يكون المراد أنّ القاصدين إذا وصلوا إلى أعاليه وقفوا عندها ولم يطلبوا غيرها، لأنّهم يجدون مقاصدهم عندها على الوجه الأتمّ.

فضل قراءة القرآن

القرآن هو الناموس الإلهيّ الّذي تكفّل للناس إصلاح الدين والدنيا، وضمن لهم سعادة الآخرة والأولى، فكلّ آية من آياته منبع فيّاض بالهداية ومعدن من معادن الإرشاد والرحمة، فالّذي تروقه السعادة الخالدة والنجاح في مسالك الدين والدنيا، عليه أن يتعاهد كتاب اللّه العزيز آناء الليل وأطراف النهار، ويجعل آياته الكريمة قيد ذاكرته، ومزاج تفكيره، ليسير على ضوء الذكر الحكيم إلى نجاح غير منصرم وتجارة لن تبور. وما أكثر الأحاديث الواردة عن أئمّة الهدى عليهم السلام وعن جدّهم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في فضل تلاوة القرآن منها:

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية**»[١]

وقال عليه السلام: «**ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتّى يقرأ سورة من القرآن فيُكتب له مكان كلّ آية يقرأها عشر حسنات، ويُمحى عنه عشر سيّئات؟**»[٢]. وقال: «**عليكم بتلاوة القرآن، فإنّ درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: إقرأ وارقَ، فكلّما قرأ آية يرقى درجة**»[٣].

وقد جمعت كتب الأصحاب من جوامع الحديث كثيراً من هذه الآثار الشريفة من أرادها فليطلبها. وفي الجزء التاسع عشر من كتاب بحار الأنوار الشيء الكثير من ذلك.

---

(١) الكافي، ج٢، ص٦٠٩.

(٢) م.ن، ج٢، ص٦١١.

(٣) الوسائل، الحرّ العاملي، ج٦، ص١٩٠.

القراءة في المصحف

دلّت جملة من الآثار على فضل القراءة في المصحف على القراءة عن ظهر القلب. ومن هذه الأحاديث قول إسحاق بن عمار للصادق عليه السلام: «**جعلت فداك إنّي أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف؟ قال: فقال لي: لا. بل أقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل. أما علمت أنّ النظر في المصحف عبادة؟**»[1].

وقال عليه السلام: «**من قرأ القرآن في المصحف مُتّع ببصره، وخُفِّف عن والديه وإن كانا كافرين**»[2].

وفي الحثّ على القراءة في نفس المصحف نكتة جليلة ينبغي الالتفات إليها، وهي أنّه لو اكتُفيَ بالقراءة عن ظهر القلب لهُجرت نسخ الكتاب، وأدّى ذلك إلى قلّتها، ولعلّه يؤدّي أخيراً إلى انمحاء آثارها.

على أنّ هناك آثاراً جزيلة نصّت عليها الأحاديث لا تحصل إلّا بالقراءة في المصحف، منها قوله: «**متّع ببصره**» وهذه الكلمة من جوامع الكلم، فيراد منها أنّ القراءة في المصحف سبب لحفظ البصر من العمى والرمد، أو يراد منها أنّ القراءة في المصحف سبب لتمتّع القارئ بمغازي القرآن الجليلة ونكاته الدقيقة، لأنّ الإنسان عند النظر إلى ما يروقه من المرئيّات تبتهج نفسه، ويجد انتعاشاً في بصره وبصيرته.

وكذلك قارئ القرآن إذا سرّح بصره في ألفاظه، وأطلق فكره في معانيه وتعمّق في معارفه الراقية وتعاليمه الثمينة يجد في نفسه لذّة الوقوف عليها، ومتعة الطموح إليها، ويشاهد هشّة من روحه وتطلّعاً من قلبه.

---

(١) الكافي، ج٢، ص٦١٤.

(٢) هذه الروايات في أصول الكافي، كتاب فضل القرآن، ج٢، ص٥٩٦.

فضل القراءة في البيوت

وقد أرشدتنا الأحاديث الشريفة إلى فضل القراءة في البيوت. ومن أسرار ذلك إذاعة أمر الإسلام، وانتشار قراءة القرآن، فإنّ الرجل إذا قرأه في بيته قرأته المرأة، وقرأه الطفل، وذاع أمره وانتشر. أمّا إذا جعل لقراءة القرآن أماكن مخصوصة فإنّ القراءة لا تتهيّأ لكلّ أحد، وفي كلّ وقت، وهذا من أعظم الأسباب في نشر الإسلام. ولعلّ من أسراره أيضاً إقامة الشعار الإلهيّ، إذا ارتفعت الأصوات بالقراءة في البيوت بكرة وعشيّاً، فيعظم أمر الإسلام في نفوس السامعين لما يعروهم من الدهشة عند ارتفاع أصوات القراء في مختلف نواحي البلد.

ومن آثار القراءة في البيوت ما ورد في الأحاديث: «**إنّ البيت الّذي يُقرأ فيه القرآن ويُذكر الله تعالى فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدرّيّ لأهل الأرض، وإنّ البيت الّذي لا يُقرأ فيه القرآن، ولا يُذكر الله تعالى فيه تقلّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين**»[1].

(١) الكافي، ج٢، ص ٤٩٩.



خلاصة

القــرآن كلام اللّه العظيــم، ومعجزة نبيّه الكريم وهو الضــامن للبشــر بنيل الغايــة القصــوى والسـعادة الكبرى في العاجــل والآجل. يقــول تعالــى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1].

وعــن النبــيّ ﷺ: «**فضــل كلام اللّه علــى ســائر الــكلام كفضــل اللّه علــى خلقه**».

هناك العديد من الآيات الكريمة الّتي تتحدّث عن فضل القرآن، كما أنّ هناك الكثير من الروايات الواردة عن الرسول والعترة الطاهرة عليهم السلام.

إنّ أبنــاء الأمّة لــو رجعوا إلى القرآن في خصــوماتهم، وما يلتبس عليهم في عقائدهم وأعمالهم لأوضــح لهم الســبيل. ولوجدوه الحكم العدل، والفاصل بين الحقّ والباطل.

القرآن هو الناموس الإلهيّ الّذي تكفّل للناس إصــلاح الدين والدنيا، وضــمن لهم ســعادة الآخرة والأولى، فكلّ آية من آياته منبــع فيّاض بالهداية ومعدن من معادن الإرشاد والرحمة.

وقــد دلّت جملة من الأخبار على فضــل القراءة في المصــحف على القراءة عن ظهر القلب. كما أرشــدتنا الأحاديث الشــريفة إلى فضل القراءة في البيوت وتعاهد كتاب اللّه بالتلاوة الدائمة.

(١) سورة الاسراء، الآية: ٩.



للمطالعة

ما تكلّمَتْ إلّا بالقرآن

قال بعضهم: انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت امرأة، فقلت لها: من أنت؟ فقالت ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[1] فسلّمت عليها، فقلت: ما تصنعين ههنا؟ قالت: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾[2] فقلت: أمن الجنّ أنت أم من الإنس؟ قالت: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾[3] فقلت: من أين أقبلت؟ قالت: ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[4] فقلت: أين تقصدين؟ قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾[5] فقلت: متى انقطعت؟ قالت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[6] فقلت: أتشتهين طعاماً؟ فقالت: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[7]. فأطعمتها، ثم قلت: هرولي ولا تعجلي، قالت: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[8]. فقلت: أردفك؟ فقالت: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[9]. فنزلت فأركبتها، فقالت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾[10]. فلما أدركنا القافلة قلت: ألك أحد فيها؟ قالت: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[11]. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[12]. ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[13].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٩.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٤) سورة فصّلت، الآية: ٤٤.
(٥) سورة آل عمران، الآية:٩٧.
(٦) سورة ق، الآية: ٣٨.
(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٨.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٩) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(١٠) سورة الزخرف، الآية: ١٢.
(١١) سورة ص، الآية: ٢٦.
(١٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(١٣) سورة مريم، الآية: ٢١.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[1]. فصحت بهذه الأسماء، فإذا أنا بأربعة شباب متوجّهين نحوها، فقلت: من هؤلاء منك؟ قالت: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[2]. فلم أتوها قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[3]. فكافوني بأشياء فقالت: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[4]. فزادوا عليّ، فسألتهم عنها.

فقالوا: هذه أمّنا فضّة جارية الزهراء عليها السلام ما تكلّمت منذ عشرين سنة إلّا بالقرآن[5].

(١) سورة طه، الآيات: ١١ـ١٣.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٣) سورة القصص، الآية: ٢٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.
(٥) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٤٣، ص ٨٦ – ٨٧.



الدرس الرابع

الآداب الظاهريّة لتلاوة القرآن



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى أجر القارئ للقرآن الكريم.

٢. أن يعدّد الآداب الظاهريّة لتلاوة القرآن.



تمهيد

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾[١].

لا غنى للمسلم عن مصاحبة القرآن وتلاوته، حيث يعيش الإنسان فيه مع الله تعالى ويقتبس من نوره. والتلاوة عبادة يُثاب عليها المؤمن ويؤجر على كلّ حرف يقرأه. ولكن كيف نقرأ القرآن، وكيف نستفيد من آياته؟ هل نقرؤه لمجرّد التلاوة؟ أم نقرأه لنجعله نوراً لنا في ظلمات الجهل والدنيا يسدّد وجهتنا ويحسّن مسلكنا؟ ألم يقرع أسماعنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كم من تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه لأنّه أقام حروفه وضيّع حدوده؟**»[٢].

والأجر يتفاوت على قدر ما في التلاوة من تدبّر، وعلى قدر ما يؤدّي التدبّر إلى الغاية المطلوبة والهدف المراد الّذي يشير إليه تعالى في قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٩.

(٢) البحار، ج٨٩، ص١٨٤.

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[1].

فالمطلوب أن تتحوّل تلاوة القرآن والاستماع لآياته إلى تأثّر وخشوع وخضوع لحضرة الباري سبحانه وتعالى يتجلّى في مقام العمل هدياً وسلوكاً والتزاماً بأوامر اللّه عزَّ وجلَّ ونواهيه.

وقد تعرّفنا في الدرس السابق إلى فضل القرآن وفضل تلاوته، فيا ترى كيف تكون هذه التلاوة؟ وما هي شروطها؟ وكيف نحصّل الغاية القصوى من منافعها؟

القرآن نور

ورد في الخبر عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن**»[2].

وفي المواظبة على التلاوة ورد عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قرأ عشر آيات في ليلة لم يُكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كُتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كُتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كُتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كُتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كُتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كُتب له قنطار من تبر...**»[3].

ولا شكّ أنّ هذا الأجر المذكور ليس لمن يقرأ القرآن ويمرّ عليه مروراً دون أن يتأثّر به قلباً وقالباً، فإذا عرض عليه عارض من الدنيا نسي القرآن وصاحب القرآن، نعوذ باللّه من ذلك، بل الأجر لمن قرأ وتدبّر بتأدّب وتأمّل وعلم أنّ الّذي يخاطبه هو اللّه سبحانه الّذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. من هنا

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.
(٢) الكافي، الكليني، ج٢، ص٦١٠.
(٣) م.ن، ج٢، ص٦١٢.

كان حقيقــاً علينا أن نلتفــت ونهتمّ ببعض الآداب الّتي ينبغــي أن تقترن بتلاوتنا للقرآن، ونرجو من خلالها أن يكون تعبّدنا هذا موضعاً للقبول من حضرة الباري سـبحانه وتعالــى. وقد ذُكرت آداب متعــدّدة لتلاوة القرآن بعضــها يُعدّ ظاهريّاً وبعضــها باطنيّاً، وفي هذا الدرس ستتعرّف للآداب الظاهريّة، وهي كثيرة، على رأسها:

١ - الطهارة:

والمقصــود بالطهارة الخلوّ من الحدث الأكبر والأصــغر بالوضــوء أو الغسل أو التيمّم بدلاً عنهما. وقد جعل المولى ثواب قراءة القرآن ثواباً مضــاعفاً، ففي الحديــث: «**من اسـتمع القرآن كتب له بكلّ حرف حسـنة ومن قرأ على وضـوء كان له بكلّ حرف خمس وعشرون حسنة**»[١].

وقد صــرّح الفقهاء بكراهة قراءة ما زاد على ســبع آيات للجنب، مضافاً إلى حرمة قراءته آيات السجدة من سور العزائم الأربع: «**العلق**» و«**النجم**» و«**فصّلت**» و«**السجدة**».

٢ - تنظيف الفم:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّي لأحبّ للرجل إذا قام بالليل أن يستاك وأن يشـمّ الطيـب فـإنّ الملك يأتي الرجـل إذا قام بالليل حتّى يضــع فاه على فيه، فما خرج من القرآن من شيء دخل جوف ذلك الملك**»[٢].

فالفــم هو طريق القــرآن، ولا يليق بطريق القــرآن إلّا أن يكــون طيّباً نظيفاً؛ قال رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**نظّفوا طريق القرآن**» قيل: يا رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما طريق

(١) الفصول المهمّة، الحر العاملي، ج٣، ص٣٢٠.
(٢) المحاسن، ص٥٥٩، والبحار، ج٧٧، ص٣٤٣.

القرآن؟ قال: «**أفواهكم**» قيل: بماذا؟ قال: «**بالسواك**»[١].

وفي حديث آخر: «طيّبوا أفواهكم بالسواك فإنّها طرق القرآن».[٢]

٣- استقبال القبلة والإقبال التامّ على التلاوة:

ينبغي لقارىء القرآن أن يستقبل القبلة، ويجلس بتأدّب وخشوع، ويقبل على التلاوة متفرّغاً لها، وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

«**قارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خالٍ. فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم**»[٣].

٤ - البدء بالاستعاذة:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[٤].

من كمال الأدب أن يشرع القارئ في القراءة بالاستعاذة، ويقصد بها تطهير القلب من تلوّثات الوسوسة الصارفة عن ذكر الله تعالى.

وختم القراءة بقوله: صدق الله العليّ العظيم. ويدعو بالمأثور في بدء التلاوة وبعد الفراغ منها كما كان يفعل الأئمّة عليهم السلام.

٥ - قراءة القرآن في المصحف:

وفي بعض الروايات ما يفيد أفضليّة قراءة القرآن مطالعة على قراءته حفظاً. وتظهر هذه الأفضليّة في الآثار المترتّبة، وقد ذكرنا في الدرس السابق بعضاً منها ونضيف ما ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل عبادة أمّتي تلاوة القرآن نظراً**»[٥].

(١) م.ن. ص٥٥٨.
(٢) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٣٩٧.
(٣) مستدرك الوسائل، ج٤، ص٢٤١.
(٤) سورة النحل، الآية: ٩٨.
(٥) المحجة البيضاء، ج٢، ص٢٣١.

٦ - الترتيل بصوت حسن:

قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[١].

والترتيل هو بيان الحروف وإظهارها وحفظ الوقوف.

والمراد بحفظ الوقوف أن لا يقف القارئ كيفما كان، بل يقف حيث يكون الوقف حسناً. والمراد ببيان الحروف أن يُخرج الحروف كما ينبغي من جهر وهمس وإطباق واستعلاء على ما ذكره علماء التجويد.

والترتيل كما في بيان الإمام الصادق عليه السلام هو: «**أن تتمكّث فيه وتحسّن به صوتك**»[٢].

فتقرأ بإمعان من غير استعجال بحيث لو أراد السامع أن يعدّ الحروف لأوشك أن يعدّها. وتحسّن به الصوت في خشوع وخشية.

وقال عليه السلام أيضاً: «**زيّنوا القرآن بأصواتكم**»[٣].

والمقصود من حسن الصوت ما قاله رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الّذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى اللّه**»[٤].

ويستفاد من الروايات أنّ الصوت الحسن يترك أثراً في قلب القارئ والمستمع على حدّ سواء، الأمر الّذي يساهم في تليين القلوب القاسية، فإنّ كلام اللّه شفاء من كل مرض قلبيّ.

(١) سورة المزمل: الآية ٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٨٩، ص١٩١.
(٣) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٥.
(٤) م.ن. ج٣، ص٢٥٢٥.



خلاصة

لا غنى للمسلم عن مصاحبة القرآن وتلاوته، حيث يعيش الإنسان فيه مع اللّه تعالى ويقتبس من نوره. والتلاوة عبادة يثاب عليها المؤمن ويؤجر على كلّ حرف يقرأه. فللقراءة القرآنيّة آداب لا بدّ أن نلتزم بها حتّى نحصّل أقصى درجات الأجر من الباري سبحانه وتعالى. وقد ذُكرت آداب متعدّدة لتلاوة القرآن بعضها يُعدّ ظاهريّاً وبعضها باطنيّاً.

والآداب الظاهريّة كثيرة، على رأسها:

١- الطهارة.

٢- تنظيف الفم.

٣- استقبال القبلة والإقبال التام على التلاوة.

٤- البدء بالاستعاذة.

٥- قراءة القرآن في المصحف.

٦- الترتيل بصوت حسن.

القرآن وأسرار الخليقة

أخبـر القـرآن الكريـم في غيـر واحدة مـن آياته عمّـا يتعلّق بسـنن الكون، ونواميس الطبيعة، والأفلاك، وغيرها ممّا لا سبيل إلى العلم به في بدء الإسلام إلّا من ناحية الوحي الإلهيّ. وبعض هذه القوانين وإن علم بها اليونانيّون في تلك العصـور أو غيرهم ممّن لهم سابق معرفة بالعلوم، إلّا أنّ الجزيرة العربيّة كانت بعيـدة عـن العلم بذلك. وإنّ فريقاً ممّـا أخبر به القرآن لم يتّضـح إلّا بعد توفّر العلوم، وكثرة الاكتشافات. وهذه الأنباء في القرآن كثيرة.

وقـد أخذ القرآن بالحزم في إخباره عن هذه الأمور، فصـرّح ببعضـها حيث يحسن التصريح، وأشار إلى بعضها حيث تحمد الإشارة، لأنّ بعض هذه الأشياء ممّا يستعصي على عقول أهل ذلك العصر، فكان من الرشد أن يشير إليها إشارة تتّضح لأهل العصور المقبلة حين يتقدّم العلم، وتكثر الاكتشافات.

ومن هذه الأسرار الّتي كشف عنها الوحي السماويّ، وتنبّه إليها المتأخّرون ما في قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾[1].

فقـد دلّت هذه الآية الكريمـة على أن كلّ ما ينبت فـي الأرض له وزن خاصّ، وقـد ثبـت أخيراً أنّ كل نوع مـن أنواع النبات مركّب من أجزاء خاصّـة على وزن مخصـوص، بحيث لو زيد في بعض أجزائه أو نقص لكان ذلك مركّباً آخر. وإن نسـبة بعض الأجزاء إلى بعض مـن الدقّة بحيث لا يمكن ضـبطها تحقيقاً بأدقّ الموازين المعروفة للبشر.

ومن الأسـرار الغريبة الّتي أشـار إليهـا الوحي الإلهيّ حاجة إنتاج قسـم من

(١) سورة الحجر، الآية: ١٩.

الأشجار والنبات إلى لقاح الرياح. فقال سبحانه: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾[(١)].

فإنّ المفسّرين الأقدمين وإن حملوا اللّقاح في الآية الكريمة على معنى الحمل، باعتبار أنّه أحد معانيه، وفسّروا الآية المباركة بحمل الرياح للسحاب، أو المطر الّذي يحمله السحاب، ولكنّ التنبيه على هذا المعنى ليس فيه كبير اهتمام، ولا سيّما بعد ملاحظة أنّ الرياح لا تحمل السحاب، وإنّما تدفعه من مكان إلى مكان آخر.

والنظرة الصحيحة في معنى الآية بعد ملاحظة ما اكتشفه علماء النبات تفيدنا سرّاً دقيقاً لم تدركه أفكار السابقين، وهو الإشارة إلى حاجة إنتاج الشجر والنبات إلى اللّقاح، وأنّ اللّقاح قد يكون سببه الرياح، وهذا كما في المشمش والصنوبر والرمّان والبرتقال والقطن، ونباتات الحبوب وغيرها، فإذا نضجت حبوب الطلع انفتحت الأكياس، وانتثرت خارجها محمولة على أجنحة الرياح فتسقط على مياسم الأزهار الأخرى عفواً.

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى أنّ سنّة الزواج لا تختصّ بالحيوان، بل تعمّ النبات بجميع أقسامه بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[(٢)].

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٣)].

ومن الأسرار الّتي كشف عنها القرآن هي حركة الأرض، فقد قال عزَّ من قائل: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾[(٤)].

تأمّل كيف تشير الآية إلى حركة الأرض إشارة جميلة لم تتّضح إلّا بعد قرون،

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣.
(٣) سورة يس، الآية: ٣٦.
(٤) سورة طه، الآية: ٥٣، وسورة الزخرف، الآية: ١٠.

وكيف تستعير للأرض لفظ المهد الّذي يُعمل للرضيع، يهتزّ بنعومة لينام فيه مستريحاً هادئاً، وكذلك الأرض مهد للبشر وملائمة لهم من جهة حركتها الوضعيّة والانتقاليّة. وكما أنّ تحرّك المهد لغاية تربية الطفل واستراحته، فكذلك الأرض، فإنّ حركتها اليوميّة والسنويّة لغاية تربية الإنسان بل وجميع ما عليها من الحيوان والجماد والنبات. تشير الآية المباركة إلى حركة الأرض إشارة جميلة، ولم تصرّح بها لأنّها نزلت في زمان أجمعت عقول البشر فيه على سكونها، حتّى أنّه كان يعدّ من الضروريّات الّتي لا تقبل التشكيك.

ومن الأسرار الّتي كشف عنها القرآن قبل أربعة عشر قرناً: وجود قارّة أخرى. فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[1].

وهذه الآية الكريمة قد شغلت أذهان المفسّرين قروناً عديدة، وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتّى. فقال بعضهم: المراد مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرباهما، وحمله بعضهم على مشرقَيّ الصيف والشتاء ومغربيّهما. ولكنّ الظاهر أنّ المراد بها الإشارة إلى وجود قارّة أخرى تكون على السطح الآخر للأرض يلازم شروق الشمس عليها غروبها عنّا، وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾[2].

فإنّ الظاهر من هذه الآية أنّ البعد بين المشرقين هو أطول مسافة محسوسة فلا يمكن حملها على مشرقَي الشمس والقمر ولا على مشرقي الصيف والشتاء، لأنّ المسافة بين ذلك ليست أطول مسافة محسوسة، فلا بدّ من أن يراد بها المسافة الّتي ما بين المشرق والمغرب. ومعنى ذلك أن يكون المغرب مشرقاً لجزء آخر من الكرة الأرضيّة ليصحّ هذا التعبير، فالآية تدلّ على وجود هذا الجزء الّذي لم يُكتشف إلّا بعد مئات من السنين من نزول القرآن.

(١) سورة الرحمن، الآية: ١٧.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٨.

فالآيـات الّتي ذكرت المشـرق والمغرب بلفظ المفرد يـراد منها النوع كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾[1].

والآيات الّتي ذكرت ذلك بلفظ التثنية يراد منها الإشارة إلى القارّة الموجودة على السطح الآخر من الأرض.

والآيات الّتي ذكرت ذلك بلفظ الجمع يراد منها المشـارق والمغارب باعتبار أجزاء الكرة الأرضيّة كما نشير إليه[2].



(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٢) البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٧٠ – ٧٤.



الدرس الخامس

الآداب الباطنيّة لتلاوة القرآن



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى الآداب الباطنيّة لتلاوة القرآن.

٢. أن يتبيّن موانع الاستفادة ليتخلّص منها.





تلاوة القرآن حقّ تلاوته:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾[1].

فللقرآن حقّ علينا وينبغي أن نوفيه حقّه برعاية جملة من الآداب أثناء تلاوته والاستماع إليه. وفي تفسير الآية يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**يرتّلون آياته ويتفهّمون معانيه ويعملون بأحكامه ويرجون وعده ويخشون عذابه ويتمثّلون قصصه ويعتبرون أمثاله ويأتون أوامره ويجتنبون نواهيه..**»[2].

وأفضل التلاوة تلك الّتي تحقّق الهدف القرآنيّ الأوّل وهو الهداية، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[3].

ولحصول الهداية هناك أمور ينبغي مراعاتها، أهمّها:

١- الإخلاص في القراءة:

من الآداب المفيدة في تلاوة القرآن الكريم الإخلاص. وقد وردت بذلك روايات كثيرة. منها ما رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ**

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢١.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

القرآن فاتّخذه بضاعة واستدرّ به الملوك واستطال به على الناس. ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده وأقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن. ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه فبأولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء، وبأولئك يديل الله من الأعداء، وبأولئك ينزّل الله الغيث من السماء، فوالله لَهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر»[1].

٢- التدبّر في القرآن:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[2].

فالقـراءة الّتي لا تدبّر فيها لا خير فيها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[3].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **«إنّي لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن»**[4].

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقّه»**[5].

وعنه عليه السلام أنّه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم، فقال له رجل: جُعلت فداك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال عليه السلام: **«إنّه كان يعرف تفسير قوله تعالى: إنّ الّذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد..»**[6].

(١) أصول الكافي، ج٢، ص٦٠٤.
(٢) سورة محمد، الآية:٢٤.
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٤) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٣٢.
(٥) بحار الأنوار، ج٢، ص٤٩.
(٦) قريب منه في تفسير القمي، ج٢، ص١٤٧.

وعن الزهريّ قال سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: «**آيات القرآن خزائن العلم، فكلّما فتحت خزائنه فينبغي لك أن تنظر فيها**»[1].

٣- التفكّر:

مـن الآداب المهمّة لقراءة القرآن التفكّر. وقد كثـرت الدعوة إلى التفكّر في القرآن الشريف.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

والروايات أيضـاً في التفكّر كثيرة، فقد نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا نزلت الآية الشريفة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4].

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها**»[5].

٤- التأثّر والخشية:

قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[6].

وهذه أحوال المستمع لتلاوة القرآن المتدبّر فيه فكيف بمن يتلوه بنفسه؟

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[7].

(١) بحار الأنوار، ج٩٢، ص٢١٩.
(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.
(٥) زبدة البيان، المحقّق الأردبيلي، ص١٤٠.
(٦) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧-١٠٩.
(٧) سورة الحشر، الآية: ٢١.

٥- البكاء والحزن:

فقد ورد عن النبيّ ﷺ: «**من قرأ القرآن ولم يخضع لله ولم يرقّ قلبه ولا يكتسي حزناً ووجلاً في سرّه، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده؟**»[١].

وورد في الخبر: «**اقرأوا القرآن بالحزن**»[٢].

وفي نهج البلاغة: «**الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم**»[٣].

والقرآن كلام الحقّ ومن الأدب حين نقرأ هذا الكلام أن نكبره ونعظّمه؛ فلا نستهين بأوامره ونواهيه وإنذاره ووعيده وما ينبىء عنه من حقائق وأسرار.

فإنّ عظمة الله تعالى وقدرته المطلقة تجلّت لعباده في القرآن الكريم. ومن كمال الأدب ونحن نقرأ القرآن أن نستحضر الحزن في قلوبنا والدمعة في عيوننا، والخوف والشفقة في نفوسنا كما هو حال النبيّ ﷺ حين كان يستمع إلى القرآن الكريم، فقد كانت عيناه تفيضان بالدمع. وكان ﷺ يقول: «**ما من عين فاضت من قراءة القرآن إلّا قرّت يوم القيامة**»[٤].

ومن لم يجد في نفسه خشية وانكساراً فليتباكَ لقوله ﷺ: «**اقرأوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا**»[٥].

وعن أمير المؤمنين في وصف المتّقين«**يُحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نُصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم**»[٦].

(١) البحار، ج٨٢، ص٤٣.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٨.
(٣) نهج البلاغة، ج٣، ص٧٧.
(٤) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٩.
(٥) الأمالي، السيد المرتضى، ج١، ص٢٥.
(٦) نهج البلاغة، خطبة المتقين، ج٢، ص١٦١.

٦- التطبيق:

ومن الآداب المهمّة لقراءة القرآن الّتي تنيل الإنسـان نتائج كثيرة واسـتفادة غير محدودة: التطبيق.

فمن أراد أن يأخذ من القرآن الشـريف الحظّ الوافر فلا بدّ له أن يطبّق كلّ آية شـريفة على حالات نفسـه حتّى يسـتفيد اسـتفادة كاملة، مثلاً يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١).

فلا بدّ للسالك أن يلاحظ هذه الأوصاف الثلاثة منطبقة عليه، وهل قلبه يَجلُ إذا ذُكر اللّه ويخاف؟ وإذا تُليت عليه الأيات الشـريفة هل يزداد إيماناً في قلبه؟ وهل اعتماده وتوكّله على اللّه تعالى أم أنّه محروم من ذلك؟

فإذا كان محروماً فليسـعَ لتحصـيل هذه الصـفات. وهكذا كلّ آية يمرّ عليها يطبّقها خارجاً، فالقرآن كتاب تطبيق لا كتاب ترتيل فحسب.

فكما أنّ خُلُق الرسول كان القرآن، فينبغي على القارئ المؤمن أن يكون خُلُقه القرآن.

القرآن يخاطبنا

وعلى كلّ مؤمن أن يستصـحب في وعيه دائماً أنّ قضـايا القرآن ومفاهيمه ومواعظه ليسـت من قضايا الماضـي الّذي كان، إنّما هي قضـيّة اللّحظة وكلّ لحظة، إنّها قضـيّتنا نحن، والخطاب فيها هو لنـا نحن بالذّات لا لقوم آخرين كانوا، أو لغيرنا، بل لنا ولكلّ فرد فينا. وينبغي أن يستشـعر القارىء للقرآن أنّه هـو المخاطَب بالـذّات وأنّ القرآن ليس كتاب مطالعة يقرأ فيه عن عصـر من التاريخ فات.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

وعندمــا يتفكّر القارئ للقرآن فــي كلّ آية من آياته الشــريفة ويطبّق مفادها على حاله ونفســه فإنّه يرفع نقصــانه بواســطة هذا التطبيق ويشــفي أمراضــه بــه. فعندما يقرأ مثلاً قصّــة إبليس وطرده من مقام القرب مع تلك الســجدات والعبادات الطويلة ويتســاءل لماذا كان مــا كان؟ يجد أنّ مقام القرب الإلهيّ هو مقام المطهّرين، ومع التلبّس بالأوصــاف والأخلاق الشــيطانيّة لا يمكن القدوم إلى ذلك القرب، فيبادر إلى التخلّص منها ليحصّــل مقامَ القرب، بحيث نشــعر دائمــاً بحياة القــرآن وأنّه حيّ دائماً، ليهــب الحياة إلى قلوبنا وتصــير أرواحنا معلّقة بعزّ قدس الله تعالى.

مهجوريّة القرآن الكريم

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[١].

إنّ مهجوريّة القرآن لها مراتب، ولعلّنا متّصــفين بالعمدة منها. أترى أنّنا إذا جلّدنا المصحف الشريف جلداً نظيفاً وقيّماً أو إذا قرأناه أو استخرنا به وقبّلناه ووضــعناه علــى أعيننا، لا نكــون هاجرين له؟ أترى إذا صــرفنا غالب عمرنا في تجويده والاهتمام فــي جهاته اللغويّة والبيانيّة والبديعيّــة، ما اتّخذناه مهجوراً؟ هل أنّنا إذا تعلّمنا القراءات المختلفة ما اتخذناه مهجوراً؟

إنّ عمــدة هجــر القرآن هي عدم تطبيقه في حياتنا الخاصّــة والعامّة. ونحن للأسف قد نكون متّصفين بهذه المرتبة من الهجر، حيث لا نأخذ تعاليم القرآن في حسباننا!.

رفع موانع الاستفادة:

ويُعبّــر عن هــذه الموانع بالحجب بين المســتفيد والقرآن، وهــي كثيرة نذكر منها:

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

١ - حجاب رؤية النفس:

بحيث يزيّن الشيطان للإنسان الكمالات الموهومة ويرضيه ويقنعه بما فيه ويسقط من عينه كلّ شيء سوى ما عنده.

فنبيّ اللّه موسى عليه السلام مع ما عنده من المقام العظيم والعلم، لم يكتف بما عنده، وبمجرد أن لاقى شخصاً كاملاً كالخضر عليه السلام قال له: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾[1].

فلا ينبغي لكلّ أهل العلم، باختلاف اهتماماتهم، أن يكتفوا بما يرضيهم ويشبع نهمهم الخاصّ، فلا يكتفي أهل التفاسير بوجوه القراءات والآراء المختلفة ولا أهل البلاغة بفنون المجاز والكناية، بل عليهم أن يعتبروا أنفسهم معنيّين بالدعوات الإلهيّة إلى المزيد ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[2].

٢ - حجاب الآراء الفاسدة والعقائد الباطلة:

وهو ناشىء في الغالب من التبعيّة والتقليد.

فمثلاً قد جاءت الآيات الكثيرة الواردة في لقاء اللّه ومعرفته، ولكن لمّا رسخ في ذهن الناس وانتشر بينهم أنّ طريق معرفة اللّه مسدود بالكلّيّة، وقاسوا باب معرفة اللّه على مسألة التفكّر في الذات الممنوع عنه والممتنع أصلاً، والّتي لا يدرك كنهها إلّا هو، قاموا بسدّ هذا الباب من المعرفة، وهو معرفة اللّه الذي هو غاية بعثة الأنبياء عليهم السلام، فقد سدّوه على أنفسهم بحجّة أن التفوّه به محض الكفر والزندقة.

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٦.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤.

٣ - حجاب المعاصي:

فالمعاصي تمنع من الاستفادة من معارف هذا الكتاب السماويّ وتحجب القلب عن إدراك حقائقه. ويمكن أن يكون قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[١] مشيراً إلى ذلك. فكما تدلّ الآية على حرمة مسّ ألفاظ القرآن الكريم من دون طهارة ظاهريّة كالوضوء فكذلك تشير إلى أنّ معانيه العالية والّتي هي أبعد ممّا تشير إليه ظواهر الألفاظ، لا يدركها إلّا من صفت نفسه وارتقت، وتطّهرت من دنس المعاصي.

كما أنّ هناك حجباً أخرى طوينا عنها... تُلتمس في مظانّها.



خلاصة

للقرآن حقّ علينا وينبغي أن نوفّيه حقّه برعاية جملة من الآداب أثناء تلاوته والاستماع إليه، ومن هذه الآداب:

الإخلاص والتدبّر، فالقراءة الّتي لا تدبّر فيها لا خير فيها، ثم يأتي التفكّر فالتأثّر والخشية من الله تعالى فالبكاء والحزن. ولعلّ أهم آداب القرآن تطبيقه على حياتنا كما كان رسول الله يوصف بأنّ خُلُقه القرآن. فإنّ خُلُقنا ينبغي أن يكون مشابهاً. وإنّ عمدة هجر القرآن هو عدم تطبيقه في حياتنا الخاصّة والعامّة. ونحن للأسف قد نكون متصفين بهذه المرتبة من الهجر، حيث لا نأخذ تعاليم القرآن في حسباننا!.

ولا بدّ من رفع موانع الاستفادة المعبّر عنها بالحجب بين المستفيد والقرآن، وهي كثيرة نذكر منها:

١- حجاب رؤية النفس

٢- حجاب الآراء الفاسدة والعقائد الباطلة

٣- حجاب المعاصي

---

(١) سورة الواقعة، الآية:٧٩.

النبع الفيّاض

يقـول الإمـام الخمينـي قدّس سرّه «أوصـي الأخـوة الأعـزاء أن لا يغفلـوا... عن الاستئناس بالقرآن الكريم، هذه الصحيفة الإلهيّة وكتاب الله الهادي، فكلّ ما عند المسلمين وما سيكون عندهم خلال عصور التاريخ الماضية والقادمة إنّما هو من البركات المغدقة لهذا الكتاب المقدّس. وبهذه المناسبة أطلب من كلّ العلماء الأعلام وأبناء القرآن والعلماء العظام أن لا يغفلوا عن هذا الكتاب المقدّس الّذي فيه تبيان كلّ شيء»...

والآن فإنّ الصورة المدوّنة لهذا الكتاب المأخوذ عن لسان الوحي بعد النزول قد وصلت إلى أيدينا كاملة دون زيادة حرف أو نقصان حرف، فالحذر الحذر من هجره لا سمح الله.

نعم، الأبعاد المختلفة لهذا الكتاب بكلّ آفاقها ليست في متناول البشر العاديّين لكن على أهل المعرفة والتحقيق في الفروع المختلفة أن ينهلوا بقدر علمهم ومعرفتهم وكفاءاتهم من هذا الكنز العرفانيّ الإلهيّ الفيّاض والبحر المواّج النازل على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويقدّموه بتعبيرات مختلفة قريبة للأذهان إلى الآخرين... والمتّقون التوّاقون إلى الهداية عليهم أن يحملوا بارقة ممّا أخذوه من نور التقوى عن هذا النبع الفيّاض بالهدى للمتّقين إلى العشّاق الوالهين إلى الهداية الإلهيّة.

وأخيراً على كلّ مجموعة من العلماء الأعلام والمفكّرين العظام أن يشمّروا عن ساعد الجدّ لتناوُل بعد من الأبعاد الإلهيّة لهذا الكتاب المقدّس، ويقدّموا بأقلامهم ما يحقّق آمال عشّاق القرآن.

ولتنفقوا أوقاتكم في الأبعاد السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة

والعسكريّة والثقافيّة في القرآن، وما فيه من مسائل الحرب والسلم، ليتبيّن أنّ هذا الكتاب مصدر كلّ شيء من عرفان وفلسفة وأدب وسياسة...

فيا أيّتها الحوزات العلميّة والمحافل الدراسيّة الجامعيّة، انهضي وأنقذي القرآن من شّر الجاهلين المتنسّكين والعلماء المتهتّكين الّذين يهتكون حرمة القرآن عن عمد وجهل. وأقول عن جدّ لا عن مجاملة إنّي آسف على ما فات من عمري في خطأ وجهل. وإنّكم يا أبناء الإسلام الغيارى في الحوزات والجامعات ابعثوا في الحوزات والجامعات يقظة تدفعها إلى الاهتمام بشؤون القرآن وأبعاده المختلفة الكثيرة.

اجعلوا تدريس القرآن نصب أعينكم في جميع أبعاده، كي لا تندموا وتأسفوا لا سمح الله على ما فات من شبابكم حين يهجم عليكم ضعف الشيب في آخر العمر، مثل كاتب هذه السطور»[١].



(١) صحيفة الإمام الخميني قدس سره، ج٢٠، ص٨١.



الدرس السادس

صيغ الكلمات القرآنيّة



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب على الحركات الإعرابيّة في القرآن.

٢. أن يميّز بين مخارج الحروف العامّة.

٣. أن يحدّد بعض صفات الحروف الأساس.



الحركات الإعرابيّة

تتألّف الحركات الإعرابيّة في اللغة العربيّة من أربع حركات هي:

الفتحة ـَ والضمّة ـُ والكسرة ـِ والسكون ـْ.

وكان أوّل من وضعها الخليل بن أحمد الفراهيديّ، حيث رمز إلى الفتحة بنقطة أوّل الحرف، وإلى الكسرة بنقطة تحت الحرف، وإلى الضمّة بنقطة آخر الحرف، وإلى السكون بنقطتين.

ولا تخلو كلمات القرآن الكريم من الحركات الظاهرة على كلّ كلمة وحرف. ولا بدّ للطالب المبتدئ أنّ يلمّ بها ليتمكّن من النّطق بها نطقاً صحيحاً.

والحرف إمّا متحرّك أو ساكن. والحركة إمّا ضمّ أو فتح أو كسر. وهي تدلّ على اتّجاه الصوت وامتداده. ويلحق بالحركات الواو بعد ضمّة والألف بعد فتحة والياء بعد كسرة، إلّا أنها تدلّ على امتداد في الصوت ضعفَي ما تدلّ عليه الحركات، مثل: يقول - قال - قيل...

كذلك التنوين وهو عبارة عن نون ساكنة لفظاً تلحق آخر الأسماء وتكتب على صورة ضمّتين ـٌ فوق الحرف، أو فتحتين ـً فوق الحرف، أو كسرتين ـٍ تحت الحرف، مثال: كتابٌ - كتاباً - كتابٍ.

كما لا بدّ من الالتفات إلى أنّ «الشدّة» هي عبارة عن تكرار الحرف، شرط أن يكون الحرف الأوّل ساكناً والثاني متحرّكاً، كي يتمّ دمجهما بحرف واحد مشدّد: دْ + دَ = دَّ.

وإنّ للسكون أشكالاً ورسماً خاصّاً بالقرآن الكريم يظهر في الأشكال التالية:

- سكون شكله كرأس الحاء ـۡ للدلالة على إظهار الحرف، نحو: ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾[1]

- سكون مستدير الشكل ـ۟ للدلالة على زيادة الحرف وإلغائه وعدم النطق به، نحو: ﴿ ٱتَّقَوا۟، أُو۟لَٰٓئِكَ، قَالُوا۟﴾.

- حرف خالٍ من الحركة تماماً، وبالواقع هو حرف ساكن لكن أهملت السكون عليه للدلالة على أنّ هناك واحداً من الحكمين السابقين إمّا إخفاء أو إدغام.

- سكون مستطيل الشكل للدلالة على إثبات الحرف وقفاً وإلغائه وصلاً، وقد وردَ في مواضع سبعة في القرآن الكريم عُرفت بالألفات السبع، هي:

١- ألف «أناْ» ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾[2].

٢- ألف «لكنّاْ» ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾[3].

٣- ألف «الظنوناْ» ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾[4].



(١) سورة البقرة، الآية:٦٢.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٤.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٨.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٠.

٤- ألـف «الرسـولا» ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[١].

٥- ألف «السبيلا» ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[٢].

٦- ألف «سلاسلا» ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾[٣].

وفي مثال سلاسلا يجوز عند الوقف حذف الألف والوقف على اللام الساكنة، أو الوقف على اللام ألف.

- سكون مستطيل «٥» الشكل ظهر في موضعين اثنين فقط:

١- فوق الحرف للدلالة على الاتمام: والاتمام كمن يريد النطق بضمة ولا ينطق بها ﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[٤].

٢- تحت الحرف للدلالة على الإمالة: والإمالة هي إمالة الفتحة إلى كسرة والألف إلى ياء ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡر۪ىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٥].

- سكون مملوء الوسط ـۡ للدلالة على التسهيل كمن يريد المدّ ولا يفعل، وقد وردت في موضع واحد في القرآن الكريم ﴿ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾[٦].

مخارج الحروف

الحروف الهجائيّة عددها ثمانية وعشرون حرفاً مجموعة في كلمات:

«**أبجد هوّز حطّي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ**». وقد جمعها أحد الشعراء في هذا البيت:

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.
(٣) سورة الإنسان، الآية: ٤.
(٤) سورة يوسف، الآية: ١١.
(٥) سورة هود، الآية: ٤١.
(٦) سورة فصّلت، الآية: ٤٤.

مـزرفـنّ الـصـدغ يـسـطـو لـحـظـه عبثاً

بـالـحـلـي جـذلان إن تشكو الـهـوى ضحكا

ومـن اعتبـر الألف حرفاً مسـتقلّاً غير الهمزة يصـبح عدد الحروف تسـعة وعشـرين حرفـاً. ولـكل حرف من هذه الحـروف مخرج أو محـلّ يخرج منه في الفم عند النطق به ويميّزه عن غيره، ويُعرف مخرج الحرف بأن تُسكّن الحرف وتُدخـل عليه همزة قطع ثمّ تلفظه فحيث انقطع الصـوت كان مخرجه الواقعيّ، نحو: أبْ، أمْ مخرج الباء والميم من الشفتين.

المخارج العامّة:

وتقسـم مخارج الحروف إلى مخارج عامّة ومخارج خاصّـة، لكن في درسـنا هذا سنتناول المخارج العامّة فقط كون المخارج الخاصّة هي لأهل الاختصاص وشاغلي فنّ وعلم التجويد والترتيل.

١- **المخـرج الأوّل: الجـوف:** وهو الفراغ الممتدّ ممّـا وراء الحلق إلى الفم، وتخرج منه ثلاثة أحرف بشروطها هي:

الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسـور ما قبلها (ـَا، ـُو، ـِي). وتسـمّى هذه الحـروف بالجوفيّة لأنّها تخرج من جوف الفم وليس لها حيّز تنتهي إليه بل تنتهي بانتهاء الهواء. كذلك تسمّى الحروف الهوائيّة أو المدّيّة. وعند تحريك هذه الحروف لها مخارج أخرى تخرج منها.

٢- **المخـرج الثانـي: الحلـق:** ويخـرج منه سـتّة أحرف هي: الهمـزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء (ء- هـ - ع - ح - غ - خ) وتسمّى حروفه بالحلقيّة.

٣- **المخرج الثالث: اللّسـان:** ويخرج منه ثمانية عشـر حرفاً هي: (**ق - ك - ي - ش - ج - ض - ل - ن - ر - ت - د - ط - ز - ص - س - ث - ذ - ظ**).

٤- **المخرج الرابع: الشـفتان:** وتخرج منهما أربعة حروف هي: (**ب - م - ف - واو** غير مديّة).

٥- **المخرج الخامس؛ الخيشـوم:** لا يخرج من الخيشـوم أيّ حرف هجائيّ، وإنّما يخرج منه صـفة لحرف وهي الغنّة، والغنّة صـوت لذيذ يخرج من الطرف الأعلـى للأنـف دون أنّ يكون للّسـان دخل به، ومقدارها حركتـان، والحركة هي وحدة زمنيّة خاصّة بعلم القراءة تقدّر بوقت رفع الإصبع أو خفضه.

الصفات الأساس للحروف

معنى صفات الحروف

بعد أن تعرّفنا إلى مخارج الحروف العامّة، سـنذكر الصـفة العامّة لكلّ حرف. والمقصـود بالصـفة العلامة الّتي تميّز الحرف عن سـواه في أذن المستمع. ولكلّ حـرف من حـروف الهجاء بالحـدّ الأدنى خمس صـفات، وبالحدّ الأقصـى سـبع صفات.

صفات لها ضدّ وصفات لا ضدّ لها:

وتقسم صفات الحروف إلى صفات لها أضداد وصفات لا أضداد لها. لكن ما نوّد تناوله هنا هو الصفات الأساس لبعض الحروف، وهي محلّ الابتلاء والخطأ لدى العديد من المبتدئين، وهي:

١- **الاسـتعلاء:** هـو تفخيم مخرج الحرف عن النطـق به في الفم وذلك في الحروف السبعة التالية المجموعة في قول:

«**خصّ ضـغط قظ**». سـواء كانت سـاكنة أم متحرّكة، لكن يقلّل من تفخيمها حالة الكسر. ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾[١].

٢- **الهمس:** جريـان النفسـ عنـد النطق بأحـد الحـروف العشـرة التالية المجموعة في قول:

(١) سورة النحل، الآية: ٤.

«**فحثّه شخص سكت**». لضعف الاعتماد على المخرج، ويشترط فيها السكون، لذا فإنّها تأتي في منتصف وآخر الكلام، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾[١].

٣- **القلقلة:** ارتعاد مخرج الحرف عن النطق به، وهي صغرى في وسط الكلام وكبرى في آخره، وحروفها خمسة مجموعة في كلمتي:

«**قطب جد**». ويشترط فيها السكون. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[٢]، ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾.

٤- **الصفير:** صوت زائد يخرج عند النطق بأحد الحروف الثلاثة التالية: السين – الصاد ـ الزين (**س – ص- ز**) ويشترط فيها السكون أو التشديد، مثال: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾[٣].

٥ – **اللثويّة:** وهي الحروف الّتي تخرج من خارج اللّثّة وتتعلّق بالمخارج وليس بالصفات، لكن نظراً لكثرة الأخطاء الّتي يقع فيها مبتدئو القراءة أوردناها للاستفادة، وعددها ثلاثة حروف هي: «**الثاء. الذال. الظاء**» سواء جاءت ساكنة أم متحّركة. ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾[٤].

٦- **الاستطالة:** صفة تطلق على حرف الضاد، لامتداد الصوت من أوّل حافّة اللسان إلى آخرها، وتظهر جليّة في الضاد الساكنة، نحو: الضالّين ـ فمن اضطّر ـ خضتم ـ أفضتم.

٧- **الضحوك:** صفة تطلق على حرف العين الساكن، وذلك لاتّساع الفم عند النطق به، نحو: يعلمون ـ تعتدوا...

(١) سورة يس، الآية: ٧٥.
(٢) سورة الفلق، الآية: ١.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٠.
(٤) سورة المرسلات، الآية: ٣٠.

٨. **التعطّش:** صفة تطلق على حرف الجيم سواء كان ساكناً أو متحرّكاً، وذلك لإشباع النطق به عند خروجه من الفم، نحو: اجتمعوا ـ رجساً ـ الحجّ ـ الجبال...

٩. **التفتيش:** صفة تطلق على حرف الشين الساكنة أو المشدّدة، لانتشار النفس في الفم عند النطق به، نحو: اشْتراه ـ الشمس...

١٠. **الغنّة:** صفة لحرفين هما الميم المشدّدة والنون المشدّدة، ومقدار الغنّة حركتان، نحو: الجنّة ـ النّاس – ثمّ – همّاز...



للمطالعة

في رحاب الإمام قدس سره

يترجم الإمام الخمينيّ قدس سره احترامه للناس ورعاية مشاعرهم بأفعاله وتصرّفاته الحكيمة دائماً. فعندما كان الإمام في باريس، نزل في إحدى مناطقها في منزل أحد الجامعيّين أوّلاً، وكان البيت في الطبقة الرابعة. ولكثرة الذهاب والإياب إليه، وعدم راحة الجيران بسبب ذلك، قرّر الإمام أخذ مكان لا يزعج فيه أحداً، فكان بيت نوفل لوشاتو.

وفي باريس، وفي ليلة ميلاد السيّد المسيح عليه السلام، وزّع على جيرانه المسيحيّين هدايا مؤلّفة من بعض الحلويّات الإيرانيّة والمكسّرات إضافة إلى باقة ورد لكلّ بيت.

وفي نوفل لوشاتو يُمنع ذبح الحيوانات خارج المسلخ حسب القانون، وفي أحد الأيّام ذبحوا في مكان سكن الإمام خروفاً.. ومع أنّ الإمام كان في ديار الكفر، قال: لأنّ ذلك مخالف لقانون الحكومة، فلن آكل من هذا اللحم.

فـإنّ الإمـام وإن كان في منطقة غير مسـلمة، ولكنّه كان يُظهـر فيها أخلاق الإسلام، واحترام الرسالة المحمّدية للإنسان، كيف لا يكون كذلك وهو المتعلّم من نبع الطهارة؟

كانوا مسيحيّين، ولكنّه رفض إزعاجهم في سكنه، بسبب تردّد الزائرين إليه. لـم يكونوا مسـلمين. ولكنّه شـاركهم وهنّأهم في عيدهم بميلاد رسـول ما قبل الإسلام. فبعث إليهم بهدايا كعلامة مشاركة في هذا العيد.

ونفهـم ممّا مضـى كلّه من خدمة الإمام للناس، وحرصـه علـى أن لا يخدمه أحد، كما يذكر الأخ سـليماني: أنّ الإمام كان شـديد الحرص، ويقول لنا دائماً عندمـا نقوم بأيّ شـيء مـن أجله: «لا تزعجوا أنفسـكم». ومع ذلـك نراه يخدم الناس، ويرى ذلك لا يقلّ ثواباً عن الزيارة.



الدرس السابع

أل التعريف وهمزتا الوصل والقطع



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف إلى أحكام أل التعريف ولفظ الجلالة.

٢. أن يميّز بين همزة الوصل وهمزة القطع في القرآن.



أحكام أل التعريف

لام التعريف هي لام زائدة على بنية الكلمة، ومختصّة بالدخول على الأسماء النكرة فقط لتعريفها، نحو: مؤمنون (اسم نكرة) - المؤمنون (اسم معرفة).

وتدوّن لام التعريف بوجود همزة وصل لتسهيل النطق بها عند الابتداء كونها ساكنة، حيث تقلب همزة الوصل إلى همزة قطع مفتوحة عند الابتداء.

وتدخل «**ال**» التعريف على جميع الحروف الهجائيّة فينتج حالتان أو حكمان هما:

١- **الإظهار القمريّ:** هو إبانة «**ال**» التعريف عندما يأتي بعدها أحد الحروف القمريّة الأربعة عشر، المجموعة في كلمات:

«**إبغ حجّك وخف عقيمه**». على نحو إظهار أل التعريف في كلمات (القمر - الأوّل - الباسط - الغفور - الحكيم - الجليل - الكريم - الودود - الخبير - الفصل - العليم - القاهر - اليقين - الملك - الهادي...).

٢- **الإدغام الشمسيّ:** هو حذف «**ال**» التعريف لفظاً عندما يأتي بعدها أحد الأحرف الشمسيّة الأربعة عشر. المجموعة في أوائل كلم هذا البيت:

طب ثمّ صل رحماً تفز صف ذا نعم   دع سوء ظنٍّ زر شريفاً للكرم

على نحو إدغام أل التعريف في كلمات:

الشمس، الطارق، الصابرين، الرحمة، الظالمين، السماء، الزكاة، الشياطين...

ملاحظة:

١- **أكثر ما يقع الخطأ في حرف الجيم**، فيلفظه كثير من الناس عند إدخال أل التعريف عليه بالإدغام (حرف شمسيّ)، بينما يجب إظهار أل التعريف كونه حرف قمريّ.

٢- **لام الموصول:** كالّذي والّتي لا توصف بكونها شمسيّة أو قمريّة، كذلك اللّام في لفظ الجلالة «**الله**» لأنّها من أصل بُنية الكلمة.

أحكام لفظ الجلالة.

لفظ الجلالة «**الله**» هو اسم قائم بذاته، لا تعتبر «**ال**» التعريف مزيدة عليه، له حالات: التفخيم والترقيق.

١- **التفخيم:** تفخّم لام لفظ الجلالة في المواضع الخمسة التالية:

١. إذا كان مبدوءاً به، نحو: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[١].

٢. إذا سبقه ضمّ، نحو: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾[٢].

٣. إذا سبقه فتح، نحو: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾[٣].

٤. إذا سبقه ألف ساكن مفتوح ما قبله، نحو: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[٤].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٥٣.

٥. إذا سبقه واو ساكنة مضموم ما قبلها، نحو: ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ..﴾[١].

٢-**الترقيق**: ترقّق لام لفظ الجلالة في المواضع الثلاثة التالية:

١. إذا كان مسبوقاً بكسر، نحو: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿يَفْتَحِ ٱللَّهُ﴾[٢].

٢. إذا كان مسبوقاً بياء ساكنة مكسور ما قبلها، نحو: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[٣].. ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ..﴾[٤].

إذا كان مسبوقاً بتنوين، نحو: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[٥]. ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[٦].

همزتا الوصل والقطع

الهمزة إمّا أن تكون همزة وصل أو همزة قطع.

أ- **همزة القطع**: هي الّتي تَثبت وصلاً وبدءاً، وتقع في أوّل الكلمة ووسطها وطرفها، على نحو: أنزل ـ يسأل ـ سماء.

ب - **همزة الوصل**: هي الّتي تَثبت في الابتداء وتسقط في الوصل. والقاعدة أن العرب لا تبدأ بساكن، فأوّل الكلمة إنّ كان ساكناً يحتاج إلى همزة وصل لنتمكّن من لفظها، وتتحوّل همزة الوصل إلى همزة قطع عند الابتداء، وترسم على هيئة ألف «ا»، وتحذف عندما تدخل عليها الأحرف المزيدة على نحو: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾[٧]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٨]....، وتحذف لفظاً عند

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
(٢) سورة فاطر، الاية: ٢.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٦١.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٦٤.
(٦) سورة الإخلاص، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ٣٢.
(٨) سورة الأعراف، الآية ١٨٠.

الوصل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ - ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1] وعلامتها أن تذكر (واو) قبلها ثمّ تلفظ الكلمة فإن احتاجت إلى لفظ حركة عليها فهي قطع نحو(وأجمع)، وإن لم تحتج إلى لفظ حركة فهي وصل نحو: ﴿وَٱعۡلَمۡ﴾، وتكون همزة الوصل في الأسماء والأفعال:

١ - همزة الوصل في الأسماء:

- همزة الوصـل في الأسماء النكرة: تكسر همزة الوصل دائماً عند الابتداء، وقد وردت في سبعة أسماء في القرآن الكريم هي:

١. ٱبن: ﴿عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾[2].

٢. ٱبنة: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ﴾[3].

٣. ٱمرئ: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾[4].

٤. ٱمرأة: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾[5].

٥. ٱثنان: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾[6].

٦. ٱثنتان: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾[7].

٧. ٱسم: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ﴾[8].

- همزة الوصـل في الأسماء المعرّفة: تفتح الهمزة دائماً عند الابتداء، نحو: الحمد للّه، الرحمن، الرحيم، السموات، الأرض، القرآن، الإنسان...

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٧.
(٣) سورة التحريم، الآية: ١٢.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٧٦.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.
(٦) سورة النحل، الآية: ٥١.
(٧) سورة النساء، الاية: ١٧٦.
(٨) سورة آل عمران، الاية: ٤٥.

٢- همزة الوصل في الأفعال:

يتمّ النظر إلى عين الفعل، أي ثاني حرف منه، فإذا كان مكسوراً أو مفتوحاً يبدأ بهمزة الوصل مكسورة دائماً. نحو: استغفر، اذهب، اضرب، انطلق، استخلف، استكباراً، اعلم، ارجع...

أمّا إذا كان عين الفعل مضموناً ضمّاً لازماً فيبدأ بالهمزة مضمومة. نحو: انظر، اعبد، اخرج...

أمّا إذا كان عين الفعل مضموماً ضمّاً عارضاً فيبدأ بالهمزة مكسورة. نحو: امشوا، ابنوا، اقبضوا...



علماؤنا أسوتنا

كتب رجل بعيد عن الآداب الإسلاميّة إلى العالم العظيم الخواجة نصير الدين الطوسيّ قدس سره كتاباً خشناً، وكان في جملة ما كتب فيه: (يا كلب).

فأجابه الخواجة الطوسيّ قدس سره في كتاب بجواب ليّن، وكان في جملة ما كتب فيه: وأمّا خطابك لي بالكلب، فإنّي لست بذلك، فإنّ الكلب منحني الظهر، وأنا مستقيم القامة أمشي على رجلين. وما أشبه هذه العبارات، وذلك بكل هدوء ورفق، وبدون أيّ خشونة وخُرق، ما أدّى إلى خجل الكاتب والاعتذار منه.

ويُحكى أنّه وقع قحط في بغداد أيّام مرجعيّة السيّد المرتضى علم الهدى قدس سره، وحيث إنّ السيّد كان يُجري على طلبة العلم ورجال الدين الّذين يحضرون درسه في بغداد المرتّب الشهريّ، احتال يهوديّ للتوصّل إلى المرتّب الشهريّ والحصول عليه بإظهار الإسلام، والانضمام إلى صفوف الطلبة. فأظهر اليهوديّ الإسلام وجاء إلى درس السيّد، وذلك في تلك الأيّام العجاف، والقحط الشديد، فقبله السيّد وأجرى له مرتّباً شهريّاً كما يجريه لبقيّة طلبته، وأحسن معاشرته.

فلمّا رأى اليهوديّ حسن معاشرة السيّد، وطيب معاملة المسلمين، أسلم قلباً وآمن حقيقة، وبقي يواصل دراسته عند السيّد، ولم يفارقه حتّى الموت - وذلك بعد أن هدى إلى الإسلام جماعة من أقربائه وذويه اليهود - وهذا كان من بركة حزم السيّد قدس سره وحسن تقديره.



الدرس الثامن

اصطلاحات الضبط وسجدات التلاوة



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى اصطلاحات الضبط.

٢. أن يتبيّن الحركات وسجدات التلاوة.





اصطلاحات الضبط

اصطلاحات الضبط هي عبارة عن رموز اصطلاحيّة، أدرجها علماء التجويد تسهيلاً على القارئ. وهي ليست موجودة في جميع المصاحف، بل تختلف بين مصحف وآخر، لذلك عمد العلماء إلى ذكر هذه الاصطلاحات في نهاية كلّ مصحف مع شرح وتعريف لها.

١- وضع ميم صغيرة (م) فوق النون الساكنة بدون السكون، أو بدل الحركة الثانية من المنوّن يدلّ على قلب التنوين أو النون ميماً، نحو: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1]، ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2]، ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾[3]...

٢- تركيب حركات التنوين (ضمّتين أو فتحتين أو كسرتين) بالشكل التالي (أ) ـٌـ، ـً، ـٍ، يدل على إظهار التنوين، نحو ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ - وَلَا شَرَابًا - وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٦.

وتتابعها مع عدم التشديد يدلّ على الإدغام، نحو: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ...﴾[1] أو على الإخفاء، نحو: ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[2].

٣- الحروف الصغيرة (و، ي، ن، ا) وضعت للدلالة على النطق بالحروف المتروكة، نحو:

﴿مَا وُۥرِىَ﴾[3]- ﴿إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾[4] - ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾[5] - ﴿إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ﴾[6] - ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[7] - ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ...﴾[8].

٤- أمّا إشارة (~) فهي للدلالة على لزوم المدّ الزائد والتفصيل عند علماء التجويد.

٥- اصطلاحات الوقف هي:

- (م) تفيد لزوم الوقف، نحو: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[9].

- (لا) تفيد النهي عن الوقف، نحو: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[10].

- (صلى) علامة وقف لكن الوصل أولى، نحو: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[11].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٩٦.
(٢) سورة الحجر، الآية: ١٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.
(٤) سورة قريش، الآية: ٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.
(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.
(٨) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.
(٩) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.
(١٠) سورة النحل، الآية: ٣٢.
(١١) سورة الروم، الآية: ٢٠.

- (قلى) يمكن الوصل عندها لكن الوقف أولى، نحو: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾[1].

- (ج) جواز الوقوف أو الوصل، نحو: ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴾[2].

- (∴ ∴) تعانق الوقف يعني جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما، نحو: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[3].

٦ – قاعدة لفظ فواتح السور: فواتح السور هي الحروف الّتي تبدأ بها ٢٩ سورة فقط من سور القرآن الكريم، نحو: ﴿الٓمٓ .الٓمٓرۚ .الٓمٓصٓ .كٓهيٓعٓصٓ .نٓۚ .قٓۚ .يسٓ .حمٓ عٓسٓقٓ ﴾.

ويشترك فيها أربعة عشر حرفاً فقط بعد حذف المتكرر مجموعة في القول: «**صراط عليّ حقّ نمسكه**» أو في: «**نصّ حكيم قاطع له سر**».

ويمكن تقسيم هذه الحروف إلى ثلاثة أقسام:

١- القسم الأوّل يضمّ حرفاً واحداً هو الألف، يلفظ كما يكتب «**ألف**».

٢- القسم الثاني يضمّ خمسة حروف مجموعة في كلمتي: «**حيّ طهر**»، هجاء كلّ حرف حرفان، أي «**حا يا طا ها را**»، فتلفظ كما هجاؤها أي تُمدّ حركتين.

٣- القسم الثالث يضم ثمانية حروف مجموعة في كلمتَي: «**نقص عسلكم**»، هجاء كلّ حرف ثلاثة حروف، أي «**نون، قاف، صاد، عين، سين، لام، كاف، ميم**»، فتلفظ بمدّ الحرف الوسطيّ مقدار ستّ حركات.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.
(٢) سورة ق، الآية: ١١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

السكتات وسجدات التلاوة

١ - **السكت:** هو حبس النفَس زمناً يسيراً يقدّر بمقدار حركتين بنيّة إكمال القراءة لا بنيّة الإعراض، ومن دون أخذ نفَس جديد، ويُرمز له بحرف سين صغيرة فوقه، وذلك في أربعة مواضع في القرآن الكريم هي:

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ * قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[١].
- ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[٢].
- ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾[٣].
- ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٤]

وهناك سكتة خامسة، وهي في قوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ * هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ﴾[٥] يجوز فيها الوجهان: أحدهما إظهار الهاء في «ماليه» مع السكت، وثانيهما إدغامهما متماثلين. لكنّ السكت مقدّم وأولى.

٢ - **سجدات التلاوة:** هي سجدة واحدة بعد تلاوة آية سجدة، وهي واجبة في بعض الآيات، ومستحبّة في الباقي، وتجب على القارئ والمستمع، على وضوء أو غيره، بنيّة.

٣- **كيفيّة سجود التلاوة:**

- **النيّة:** أسجد قربةً إلى الله تعالى.
- **يستحبّ أن تقول أثناء السجود:** «**لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، لا إله إلّا الله إيماناً وتصديقاً، لا إله إلّا الله عبوديّة ورقّاً، سجدت لك ربّي تعبّداً ورِقّاً، لا**

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٢) سورة يس، الآية: ٥٢.
(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٧.
(٤) سورة المطفّفين، الآية:١٤.
(٥) سورة الحاقة، الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩.

مستنكفاً ولا مستكبراً بل أنا عبد ذليل خائف مستجير»[١].

- والسجدات الواجبة أربع وآياتها هي:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٣].

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[٤].

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾[٥].

- والسجدات المستحبّة عددها ١١ سجدة وآياتها هي:

١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[٦].

٢- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[٧].

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٨].

٤- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[٩].

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٢، ص٢٤٥، باب ٤٦ من أبواب قراءة القرآن.
(٢) سورة السجدة، الآية: ١٥.
(٣) سورة فصّلت، الآية: ٣٧.
(٤) سورة النجم، الآية: ٦٢.
(٥) سورة العلق، الآية: ١٩.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.
(٧) سورة الحجّ، الآية: ١٨.
(٨) سورة الحجّ، الآية: ٧٧.
(٩) سورة الرعد، الآية: ١٥.

٥- ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[١].

٦- ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾[٢].

٧- ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[٣].

٨- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾[٤].

٩- ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[٥].

١٠- ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[٦].

١١- ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾[٧].

تنبيه:

ويشار في القرآن الكريم بخطّ - يوضع فوق فعل السجود للدلالة على وجود سجدة في الآية المباركة، ويتمّ وضع علامة (۩) في نهاية الآية الّتي فيها فعل السجود.

(١) سورة النحل، الآية: ٤٩.
(٢) سورة الإسراء، الاية: ١٠٧.
(٣) سورة مريم، الآية: ٥٨.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٠.
(٥) سورة النمل، الآية: ٢٥.
(٦) سورة ص، الآية: ٢٤.
(٧) سورة الانشقاق، الآية: ٢١.

علماؤنا أسوتنا

يُنقل أنّه كان قد طرق سمع (ناصر الدين شاه) كلمات إطراء حول مؤلّف كتاب (المنظومة) في المنطق والحكمة، الحاج هادي السبزواريّ، فأحبّ أن يراه عن كثب، ولذلك عزم على السفر إلى خراسان - سفراً غير رسميّ - حتّى يتوفّق لرؤيته.

فلمّا وصل في طريقه إلى نيشابور، زاره فيها العلماء وشخصيّات البلد، ولم يكن فيما بينهم الحاج هادي السبزواريّ، فاضطرّ أن يذهب وحده إلى سبزوار علّه يحظى هناك بزيارته.

ولمّا وصلها توجّه إلى داره ودخل عليه بلا خبر مسبق، فرآه جالساً على حصير عاديّ في بيت متواضع، خالٍ من كلّ زخارف الحياة ومباهجها، فتعجّب من ذلك.

لكن زاد تعجّبه لمّا صار وقت تناول طعام الغداء، حيث جاء إليه خادمه بطبق فيه قرصان يابسان من الشعير، وقليل من الملح الجريش، ومقدار من اللبن الحامض، وملعقتان من خشب، ووضعه أمامهما.

عندها توجّه السبزواريّ إلى الملك وقال: تفضّل على اسم اللّه.





الدرس التاسع

الرسم القرآنيّ وأسراره



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى أقسام الرسم القرآنيّ.

٢ . أن يميّز بين بعض كلمات الرسم العثمانيّ والرسم القياسيّ.



قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿حمٓ ❁ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ❁ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

أنــزل اللّه ســبحانه وتعالى القرآن الكريم بلســان العرب؛ وذلـك لأنّ كلّ نبيّ أُنزل كتابه بلســان قومه، والقرآن الكريم ليس أمراً ونهياً وكلمات ومعاني فقط، بل هو رسم أيضاً.

ومن المعلوم أنّ للقرآن الكريم منهجاً خاصّاً في الكتابة، يختلف نوعاً ما عن الكتابة الّتي أَلِفَها الناس.

أقسام الرسم القرآنيّ

قسّم العلماء الرسم الكتابيّ ـ الخطّ الإملائيّ ـ إلى قسمين رئيسين.

الأوّل: أطلقوا عليه اســم الرســم القياسيّ، ويقصــدون به كتابة الكلمة كما تُلفظ، مع الأخذ بعين الاعتبار حالتي الابتداء بها والوقف عليها.

الثاني: أطلقوا عليه اسم الرسم التوقيفيّ، ويقصدون به الرسم العثمانيّ، إذ هو الرسم الّذي كُتبت به المصاحف.

(١) سورة الزخرف، الآيات: ١ ـ ٣.

وقد صنّف العلماء في هذا المجال ما عُرف بـ «علم الرسم القرآنيّ» ووضعوا كتباً خاصّة في هذا الموضوع، منها، على سبيل المثال لا الحصر، كتاب «المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار» لأبي عمرو الداني، وكتاب التنزيل لأبي داود سليمان نجاح.

متباينات الرسم العثمانيّ والرسم القياسيّ

إنّ الرسـم العثمانيّ يخالف الرسم القياسيّ من بعض الوجوه، أهمّها خمسة وجوه، نذكرها فيما يأتي مع التمثيل لها:

الوجه الأول، الحذف:

وهو كثير، ويقع في حذف الألف، والواو، والياء.

فمـن أمثلـة حذف الألف، قولـه تعالى ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[١]: حيـث حُذفت الألف بعد العين، وقد كُتبت كذلك في جميع مواضـعها في القرآن، والأصل في كتابتها حسب الرسم الإملائيّ (العالمين).

ومن أمثلة حذف الواو، قوله تعالـى: ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾[٢]، وقد وردت في موضعين من القرآن، والأصل فيها (الغاوون).

ومـن أمثلـة حذف اليـاء، قوله تعالــى: ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٣]، وقـد وردت كذلك في جميع مواضـعها فـي القرآن، وعدد مواضـعها ثلاثة عشـر موضـعاً، والأصـل فـي كتابتها (النبيّين).

ومن وجوه حذف الأحرف أيضاً، حذف اللام والميم.

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٢.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٩٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

فمثال حذف اللام، قوله تعالى: ﴿ٱلَّيۡلَ﴾[1]، وقد كتبت كذلك في جميع مواضعها، وعددها ثلاثة وسبعون موضعاً، والأصل فيها (الليل).

ومثال حذف النون ﴿نُجِي﴾[2] والأصل فيها (ننجي).

١- كلمة «اسم»:

قال الله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ * فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾[3]، ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[4].

٢- كلمة (سموات – سماوات).

وردت كلمة ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بهذا الرسم بدون ألف صريحة ١٨٩ مرّة في القرآن الكريم... ووردت مرّة واحدة فقط بألف صريحة بعد حرف (و) بالرسم القرآنيّ ﴿سَمَٰوَاتٍ﴾ وذلك في الآية الكريمة رقم ١٢ من سورة فصّلت ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[5].

٣- كلمة (الميعاد ـ الميعد).

وردت كلمة (الميعاد) وذلك بألف صريحة في وسط الكلمة ٤ مرّات في القرآن الكريم... وكلّها تتكلّم عن الميعاد الأخروي الّذي وعده الله سبحانه وتعالى.. لذلك جاء الميعاد واضحاً وصريحاً ولا ريب فيه مثال ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[6]، ولمّا تحدّث القرآن عن لقاء

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.
(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٥ ـ ٩٦.
(٤) سورة العلق، الآية: ١.
(٥) سورة فصّلت، الآية: ١٢.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩.

المسلمين بالكفّار في المعركة جاءت الكلمة بلا ألف صريحة: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾[١].

٤- كلمة (سعوا- سعو).

وردت سعوا بشكلها العادي مرّة واحدة: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[٢]، ووردت (سعو) ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا﴾[٣] بشكلها غير العادي بدون ألف في آخرها مرّة واحدة أيضاً في القرآن الكريم.

٥- كلمة (صحب- صاحب).

في الآية ٣٤ من سورة الكهف يقول القرآن الكريم على لسان مالك الجنّتين: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[٤]، بألف متروكة.

غير أنّ الردّ يأتيه من صاحبه المؤمن في الآية ٣٧ من نفس سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[٥] باستخدام الألف الصريحة، والمدّ بالألف المتروكة.

٦- حذف حرف الواو من بعض الأفعال.

ورد أنّه تمّ كتابة هذه الأفعال الأربعة بحذف الواو وهي:

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ - وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ - يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ - سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ولكن من غير نقط ولا شكل في الجميع.



(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.
(٢) سورة الحجّ، الآية: ٥١.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٥.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٣٤.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٣٧.

٧- كلمة (وسئل- فسئل).

ورد في القرآن الكريم كلّه فعل الأمر من (سأل) ناقصاً حرف (أ) في البداية.

ونذكر فيما يلي نماذج من الآيات الكريمة الّتي ورد فيها هذا الفعل:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾[(١)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾[(٢)].

٨- كلمة (أيد- أييد).

وردت كلمة (أيد) وهي جمع يد مرّتين في القرآن الكريم بهذا الرسم العاديّ، وذلك في الآيتين التاليتين:

قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[(٣)].

غير أنّها وردت مرّة واحدة برسم مختلف يزيد حرف (ي) في منتصفها، وذلك في الآية الكريمة الآتية:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[(٤)].

الوجه الثاني: الزيادة

وتكون في الألف، والواو، والياء، فمثال الزيادة في الألف قوله تعالى: (وجِاىء)، والأصل فيها (وجيء).

ومثال الزيادة في الواو قوله تعالى ﴿سَأُو۟رِيكُمْ﴾[(٥)]، والأصل فيها (سأريكم).

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣.
(٣) سورة ص، الآية: ١٧.
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

ومثال الزيادة في الياء قوله تعالى ﴿بِأَيْيْدٍ﴾[1]، وهو الموضع الوحيد في القرآن، والأصل فيها (بأيدٍ).

الوجه الثالث، الهمز:

حيث وردت الهمزة في الرسم العثمانيّ تارةً برسم الألف، وتارة برسم الواو، وتارة برسم الياء.

فمن أمثلة ورودها ألفاً، قوله تعالى ﴿لَتَنُوٓأُ﴾[2]، وهو الموضع الوحيد، والأصل فيها (لتنوء).

ومن أمثلة ورودها واواً قوله تعالى: ﴿يَبْدَؤُا۟﴾[3]، وهي كذلك في مواضعها الستّة من القرآن، والأصل فيها (يبدأ).

ومن أمثلة مجيئها ياءً، قوله تعالى ﴿وَإِيتَآئِ﴾[4]، وهو الموضع الوحيد من ثلاثة مواضع، والأصل فيها (وإيتاء).

الوجه الرابع، البدل:

ويقع برسم الألف واواً أو ياء، فمن مجيئها واواً قوله تعالى: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾[5]، وهي كذلك في جميع مواضعها الأربعة والستّين، والأصل (الصلاة) ومثلها (الزكاة).

ومن صور رسمها ياءً، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾[6]، والأصل فيها (يا أسفا).

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.
(٢) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(٣) سورة يونس، الآية: ٤.
(٤) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٣.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

ومـن ذلك أيضـاً، قوله تعالـى ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[1]، ولـم ترد إلّا في هذا الموضـع، والأصل فيها (والضحا).

الوجه الخامس، الفصل والوصل:

فقـد رسـمت بعض الكلمـات في المصـحف العثمانيّ متّصـلة مـع أنّ حقّها الفصل، ورسمت كلمات أخرى منفصلة مع أنّ حقّها الوصل، فمن أمثلة ما اتّصل وحقّه الفصل ما يلي:

- (عن) مع (ما) حيث رسـمتا في مواضع من القرآن الكريم متّصلتين، من ذلك قوله تعالى: ﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[2]، وقد وردت كذلك في جميع المواضع.

- (بئس) مع (ما) رسـمتا متّصلتين في مواضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ﴾[3]، وهي كذلك في مواضعها الثلاثة.

- (كي) مع (لا) رسمتا متّصلتين في مواضع، من ذلك قوله تعالى ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾[4]، وهي كذلك في مواضعها الأربعة.

ومن أمثلة ما انفصل وحقّه الوصل ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَا﴾[5]، وقد جاءت كذلك في ثلاثة مواضع، وجاءت متّصلة على الأصل في خمسة عشر موضعاً.

- قولـه تعالـى: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾[6]، وقـد جـاءت كذلك في ثمانية مواضع، وجاءت متّصلة على الأصل في أربعة مواضع.

(١) سورة الضحى، الآية: ١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.
(٥) سورة النساء، الآية: ٩١.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

هذه الوجوه الخمسة الّتي أتينا على ذكرها، مع شيء من التمثيل لها، هي أهمّ الوجوه الّتي فارق فيها الرسم العثمانيّ الرسم الإملائيّ.

للمطالعة

من اكتشافات القرآن العلميّة

دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس

يقول التاريخ إنَّ غاليليو الإيطاليّ كان أوّل من اكتشف دوران الأرض حول نفسها قبل نحو أربعة قرون، بينما كان العلماء قبله يؤمنون بنظرية بطليموس المصريّ القائلة إنّ الأرض هي مركز الكون وإنَّ جميع الأجرام الأخرى تدور حولها.

وكان جزاء غاليليو على اكتشافه العلميّ هذا أنْ حكمت الكنيسة بكفره، ولم ينجُ من الموت إلاّ باظهار الندم على اكتشافه ذاك. غير أنّ علماء آخرين تابعوا نظريته واكّدوها بحيث إنّها أصبحت اليوم من الأُمور الّتي لا يختلف فيها اثنان، بل لقد ثبت بالتجارب الملموسة أنَّ الأرض تدور حول نفسها، وخاصّة بعد التحليقات الفضائية الأخيرة.

وعليه فقد فقدت الأرض مركزيّتها بالنسبة للكون بعد أنْ تبيّن أنَّنا كنّا من قبل ضحيّة خطأ حواسّنا، فكنّا نخلط حركة الأرض بحركة مجموعة الثوابت والسيّارات. إنَّنا نحن الّذين نتحرّك، وكنّا نعتبرها هي الّتي تتحرّك.

على كلّ حال، لقد سيطرت نظريّة بطليموس نحو ألف و خمسمائة سنة على عقول العلماء.

وعند ظهور القرآن لم يكن أحد يجرؤ على القول بخلاف ذلك.

ولكنّنا إذا رجعنا إلى آيات القرآن نجد أنَّه في الآية ٨٨ من سورة «النمل» يتحدّث اللّه تعالىعن حركة الأرض فيقول عز من قائل:

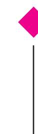
﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

هذه الآية تشـير بوضـوح إلى حركة الجبال مع أنّنا نراها سـاكنة جامدة. إنَّ تشبيه حركتها بحركة السحاب يفيد السرعة مع الهدوء.

أمّا التعبير عن حركة الأرض بحركة الجبال، فهو لكي يبيّن أهمّيّة الموضوع، إذ لا حركة للجبال بغير حركة الأرض من تحتها، أي إنَّ حركتها هي حركة الأرض نفسها، سواء أكان المقصود دورانها حول نفسها، أم حول الشمس، أم كليهما.

تصـوّر الآن عصـراً كانت فيـه جميع المحافـل العلميّة في العالم والإنسـان العاديّ، يؤمنون بنظريّة سكون الأرض ودوران الشمس والكواكب الأخرى حولها. ألا يكـون الإخبار بحركة الأرض بهذا البيان معجزةً علميّة، خاصّـة أنَّ المخبر إنسـان أمّيّ لم يدخل مدرسـة، بل إنّه نشـأ في محيط متخلّف لا مدرسة فيه ولا تعليم؟ أفلا يكون هذا دليلاً على كون القرآن كتاباً سماويّاً؟[١]

(١) سلسلة دروس في العقائد الاسلاميّة، آية الله مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، ط٢، ص١١٤-١١٦.





الدرس العاشر

تفسير القرآن الكريم



أهداف الدرس

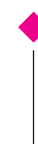
١- أن يتعرّف الطالب إلى معنى التفسير.

٢- أن يعدِّد شروط التفسير.

٣- أن يميّز بين المنهج التجزيئي والمنهج الموضوعي .







معنى التفسير

التفسير لغة: البيان والكشف (لسان العرب، مادّة (فسر)). فتفسير الكلام هو الكشف عن مدلوله وبيان معناه، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى أيضاً، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[1].

وتفسير القرآن هو بيان معاني الآيات القرآنيّة والكشف عن مقاصدها ومداليلها، بالعقل والقرآن والروايات الشريفة.

شروط التفسير

نقصد بشروط التفسير الأسس والمباني الفكريّة والعقائديّة الّتي لا بدّ أن يقوم عليها التفسير من أجل أن يكون تفسيراً صحيحاً للقرآن الكريم.

وهنا عدّة مسائل:

الأولى: الذهنيّة الإسلاميّة:

لا بدّ للمفسّر الّذي يريد أن يفسّر القرآن الكريم أن يفسّره بـ (ذهنيّة إسلاميّة). ومعنى ذلك أن يكون لدى هذا المفسّر مجموعة من التصوّرات

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

الأساسيّة يعتمد عليها الإسلام، وترتبط بالقرآن الكريم وتشكّل الإطار العامّ للتفسير؛ الّذي من خلاله يتمكّن المفسّر من الوصول إلى نتائج صحيحة في عمله التفسيريّ. فيكون تصوّره للقرآن أنّه وحي إلهيّ، وأنّ نسبته هي إلى الله سبحانه وتعالى، وأنّ القرآن ليس نتاجاً وجهداً بشريّاً، ومن خلال هذا وحده يتمكّن من الوصول إلى نتائج صحيحة في تفسيره للقرآن الكريم.

الثانية: التصوّر العامّ عن القرآن:

بأن يكون لدى المفسّر تصوّر عامّ عن كيفيّة نزول القرآن والأسلوب الّذي اتّبعه في (عمليّة التغيير) ومنهجه في طرح القضايا والأحداث من قبيل أن يعرف المفسّر (إجمالاً) أنّ في القرآن الكريم ناسخاً ومنسوخاً، فإنّ هذه الفكرة ذات أثر كبير في فهم القرآن وإمكانيّة تفسير بعضه ببعض.

وأن ينظر إلى القرآن الكريم على أنّه يمثّل وبمجموعه نصّاً واحداً، وأن بعضه يشكّل قرينة على بعضه الآخر، ففيه «**المطلق والمقيّد**» وفيه «**المجمل والمبيّن**» وفيه «**المحكم والمتشابه**»[1]، وأنّ القرآن الكريم وإن نزل بشكل تدريجيّ وخلال ثلاث وعشرين سنة، إلّا أنّ هناك قرائن عديدة تدلّ على أنّ هذا الشيء الّذي نزل بشكل تدريجيّ يشكّل وبمجموعه قضيّة واحدة وكلاماً واحداً، وأنّ بعضه يكمل الآخر ويوضحه. فقد أكّد أئمّة أهل البيت عليهم السلام كثيراً على أهميّة هذا الموضوع في تفسير القرآن الكريم ووجّهوا انتقاداً شديداً لمجموعة من المفسّرين الّذين كانوا يتعاملون مع القرآن الكريم من دون الالتفات إلى هذه الرؤية العامّة للقرآن.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث احتجاجه على الصوفية لمّا احتجّوا عليه بآيات من القرآن في الإيثار والزهد قال: «**ألكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه الّذي في مثله ضلّ من ضلّ، وهلك ومن هلك**

(١) وتوضيح هذه المصطلحات وغيرها يأتي إن شاء الله في مباحث علوم القرآن.

من هذه الأمّة؟ قالوا: أو بعضه فأمّا كلّه فلا. فقال لهم: فمن ههنا أُتيتم»[1].

وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ - إلى أن قال: - فبئس ما ذهبتم إليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ وأحاديثه الّتي يصدّقها الكتاب المنزل وردّكم إيّاها لجهالتكم وترككم النظر في غريب القرآن من التفسير والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي - إلى أن قال عليه السلام: - دعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به، وردّوا العلم إلى أهله تُؤجروا وتُعذروا عند الله، وكونوا في طلب ناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، وما أحلّ الله فيه ممّا حرّم، فإنّه أقرب لكم من الله، وأبعد لكم من الجهل، دعوا الجهالة لأهلها، فإنّ أهل الجهل كثير، وأهل العلم قليل، وقد قال الله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾»[2].

الثالثة: العقيدة الصحيحة:

بأن تكون المباني العقائديّة للمفسّر مبانٍ صحيحة. والمقصود من العقيدة الصحيحة هي تلك العقيدة الّتي تنتهي في سلسلة مراتبها وارتباطاتها واستنباطها إلى القرآن الكريم نفسه. فتصبح هذه العقيدة - والّتي هي قرينة على فهم المضامين القرآنيّة - نابعة من القرآن الكريم ذاته، ومن ثَمّ لا نخرج بالتفسير عن حدود نفس القرآن الكريم.

الرابعة: المعرفة باللغة العربيّة الفصحى وقواعدها:

يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]. وهذا أمر مفروغ منه إذ لا يمكن لمن يريد أن يخوض غمار تفسير آي القرآن أن يكون جاهلاً باللّغة العربية وفصاحتها وبلاغتها وقواعدها الإعرابيّة.

---

(١) (أُتيتم) بالبناء للمفعول أي دخل عليكم البلاء وأصابكم ما أصابكم

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٦، الكافي، ج٥، ص٧٠.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢.

تطوّر علم التفسير

بدأ التفسير للآيات وبيان معاني ألفاظ القرآن الكريم منذ عصر الرسول ﷺ، فكان هو أوّل من أوضح مقاصده. وبعد أن ارتحل النبيّ ﷺ، رجعت الشيعة إلى أهل بيته لما مرّ من حجيّة أقوالهم ولم يركنوا إلى آراء الصحابة والتابعين الّذين اعتمد أقوالهم بقيّة المسلمين، إلّا ما ثبت أنّه حديث نبويّ.

فكانت أوائل التفاسير عبارة عن أحاديث مأثورة عن النبيّ وأهل بيته ثمّ تطوّرت إلى أن أصبحت التفاسير تحوي علوماً عديدة.

وما بأيدينا من تفاسير شاهد حيّ على اتّساع أنماط التفسير وتشعّب علومه.

مناهج التفسير

ظهرت مناهج متعدّدة في تفسير القرآن الكريم عند المسلمين عامّة؛ نتيجة التحوّلات الفكريّة الّتي شهدتها الأجيال اللاحقة ابتداءاً من القرن الثاني الهجريّ، وذلك مع شيوع المباحث الكلامية وانتشار الفلسفة وعلم التصوّف..

١- منهج التفسير التجزيئيّ:

«وهو المنهج الّذي يتناول المفسّر ضمن إطاره القرآن الكريم آية فآية وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف، ويفسّره بما يؤمن به من أدوات ووسائل للتفسير من الظهور أو المأثور من الأحاديث أو بلحاظ الآيات الأخرى الّتي تشترك مع تلك الآية في مصطلح أو مفهوم، وبالقدر الّذي يلقي ضوءاً على مدلول القطعة القرآنيّة الّتي يراد تفسيرها والكشف عن مدلولها اللفظيّ، مع أخذ السياق الّذي وقعت تلك القطعة ضمنه بعين الاعتبار في كلّ تلك الحالات. فالهدف في كلّ خطوة من هذا التفسير هو فهم مدلول هذا المقطع أو هذه الآية

الّتي يواجهها المفسّر بكلّ الوسائل الممكنة، أي أنّ الهدف (هدف تجزيئيّ) لأنّه يقف دائماً عند حدود فهم هذا الجزء أو ذاك من النصّ القرآنيّ ولا يتجاوز ذلك غالباً»[١].

٢- منهج التفسير الموضوعيّ:

«وهو المنهج الّذي (...) يحاول (المفسّر) القيام بالدراسة القرآنيّة لموضوع من موضوعات القرآن العقائديّة أو الاجتماعيّة، كعقيدة التوحيد، أو النبوّة، أو سنن التأريخ في القرآن... ويستهدف التفسير الموضوعيّ من القيام بهذه الدراسات تحديد موقف نظريّ للقرآن الكريم، ومن ثمّ للرسالة الإسلاميّة من ذلك الموضوع»[٢].

معاني الموضوعيّة[٣]:

ومن أجل أن يتّضح موضوع البحث ومركز الاختلاف لا بدّ أن نفهم مصطلح (الموضوعيّة) فإنّ هناك ثلاثة معان لمصطلح (الموضوعيّة) ذكرها الشهيد الصدر قدس سره، وهي:

أوّلاً: (الموضوعيّة) في مقابل (الذاتيّة) و (التحيّز). والموضوعيّة بهذا المعنى عبارة عن الأمانة والاستقامة في البحث والتمسّك بالأساليب العلميّة المعتمدة على الحقائق الواقعيّة في نفس الأمر والواقع، دون أن يتأثّر الباحث بأحاسيسه ومتبنّياته الذاتيّة ولا أن يكون متحيّزاً في الأحكام والنتائج الّتي يتوصّل إليها. وهذه (الموضوعيّة) أمر صحيح ومفترض في كلا المنهجين: (التجزيئيّ) و (الموضوعيّ) ولا اختصاص لأحدهما بها.

(١) المدرسة القرآنيّة للسيّد الشهيد محمّد باقر الصدر قدس سره، المحاضرة الأولى: ٩ - ١١، طبعة بيروت.

(٢) تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم، ص ٩٢.

(٣) م.ن. ص ٩٢ - ٩٤.

ثانياً: (الموضوعيّة) بمعنى أن يبدأ في البحث من (الموضوع)، الّذي هو (الواقع الخارجيّ) ويعود إلى (القرآن الكريم) لمعرفة الموقف تجاه الموضوع الخارجيّ. «فيركّز المفسّر - في منهج التفسير الموضوعيّ - نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائديّة أو الاجتماعيّة أو الكونيّة ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنسانيّ حول ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدّمه الفكر الإنسانيّ من حلول وما طرحه التطبيق التأريخيّ من أسئلة ومن نقاط فراغ، ثمّ يأخذ النصّ القرآنيّ... ويبدأ معه حواراً، فالمفسّر يسأل والقرآن يجيب، وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح». «وقد يسمّى هذا المنهج أيضاً بالمنهج (التوحيديّ) باعتبار أنّه يوحّد بين (التجربة البشريّة) و (القرآن الكريم) لا بمعنى أنّه يحمل التجربة البشريّة على القرآن، بل بمعنى أنّه يوحّد بينهما في سياق واحد، لكي يستخرج نتيجة هذا السياق المفهوم القرآنيّ الّذي يمكن أن يحدّد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكريّة».

ثالثاً: وقد يراد من (الموضوعيّة) ما يُنسب إلى الموضوع، حيث يختار المفسّر موضوعاً معيّناً ثمّ يجمع الآيات الّتي تشترك في ذلك الموضوع فيفسّرها. «ويمكن أن يسمّى مثل هذا المنهج منهجاً توحيديّاً أيضاً باعتبار أنّه يوحّد بين هذه الآيات ضمن مركب نظريّ واحد».

ولا شكّ أنّ المعنى الأوّل ليس موضوع البحث إذ لا يختلف التفسير الموضوعيّ عن التفسير التجزيئيّ في ضرورة توفّر هذا الوصف فيه، ويبقى عندنا المعنى الثاني والثالث.



خلاصة

التفسير لغة: البيان والكشف، وتفسير القرآن هو بيان معاني الآيات القرآنيّة والكشف عن مداليلها، بالعقل والقرآن والروايات الشريفة.

كلمة التأويل لا ترادف كلمة التفسير ولا تعني مجرّد الكشف والإبانة عن المعنى، بل تعني شيئاً آخر وهو ما يؤول إليه الشيء.

من شروط التفسير: الذهنيّة الإسلاميّة، التصوّر العامّ عن القرآن، العقيدة الصحيحة، المعرفة باللغة العربيّة.

كانت أوائل التفاسير عبارة عن أحاديث مأثورة عن النبيّ وأهل بيته ثمّ تطوّرت إلى أن أصبحت التفاسير تحوي علوماً عديدة.

أمّا مناهج التفسير، فمنها:

منهج التفسير التجزيئيّ: وهو المنهج الّذي يتناول المفسّر ضمن إطاره القرآن الكريم آية فآية وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف.

منهج التفسير الموضوعيّ: وهو المنهج الّذي يحاول القيام بالدراسة القرآنيّة لموضوع من موضوعات القرآن العقائديّة أو الاجتماعيّة.



للمطالعة

بعض من كتب التفسير

١ ـ تفسير القمّيّ، تأليف: عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّيّ (متوفّى ٣٠٧هـ)، وهو تفسير روائيّ.

٢ ـ التبيان في تفسير القرآن، تأليف: أبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ، المعروف بالشيخ الطوسيّ (متوفّى سنة ٤٦٠هـ).

٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، تأليف: أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري.

٤- تفسير القرآن الكريم، تأليف: صدر المتألّهين محمّد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازيّ (متوفّى ١٠٥٠هـ).

٥- نور الثقلين، الشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسيّ الحويزيّ (متوفّى ١١١٢هـ)، وهو تفسير روائيّ.

٦- الميزان في تفسير القرآن، تأليف: السيد محمّد حسين الطباطبائيّ (متوفّى ١٤٠٢هـ)، ينهج منهجية تفسير القرآن بالقرآن.

٧- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: تأليف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي تفسير يلاحظ منهجيّات التفسير عامّة ويركّز على العبر ليستفيد من الآيات الكريمة دروساً متعدّدة فكريّة واجتماعيّة.

٨ - مفاهيم قرآنيّة: تأليف الشيخ جعفر سبحاني (معاصر) يتبع أسلوب التفسير الموضوعيّ فيعالج تفسير الآيات المرتبطة بموضوع معيّن أينما كان محلّها في القرآن الكريم.

٩- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، تأليف: السيد عبد الأعلى الموسويّ السبزواريّ، اتّبع منهجيَّتَي التفسير الروائيّ وتفسير القرآن بالقرآن.

١٠- تفسير القرآن الكريم، السيّد مصطفى الخمينيّ (رض).



الدرس الحادي عشر

طرائق التفسير



أهداف الدرس

١ . أن يتعرّف الطالب إلى أصول التفسير ومداركه.

٢.أن يعدِّد طرائق التفسير.

٣.أن يتبيّن أنّ القرآن مائدة لجميع الناس.





لا بدّ للمفسّر في استكشاف مراد اللّه تعالى من اتّباع ظواهر الكتاب أو ما حكم به العقل الفطريّ الصحيح، أو ما ثبت عن المعصوم من النبيّ ﷺ أو الإمام عليه السلام. وهذه الأمور الثلاثة هي أصول التفسير ومداركه.

ظواهر الكتاب

والمراد من ظاهر القرآن ما يفهمه العرف العام العارف باللّغة العربيّة الفصيحة من اللّفظ، ولم يقم على خلافه قرينة عقليّة أو نقليّة معتبرة، فالقرآن نزل بلسان يسير واضح ومفهوم، وخاطب الناس بالطريقة المألوفة، ولذا عبّر أقواله وبيانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1].

وأمّا الإمام فلأنّه أحد الثقلين اللّذين أمرنا رسول اللّه ﷺ بالتمسّك بهما، والأئمّة كما قال الصادق عليه السلام: «**ولاة أمر اللّه، وخزنة علم اللّه، وعيبة وحي اللّه**»[2].

كما أنّ في القرآن قواعد كُليّة ومفاهيم عامّة لا نفهم جزئيّاتها وتفاصيلها وحدودها إلّا من خلال الرسول ﷺ والعترة عليهم السلام وهذا ما يعبّر عنه بالتبيين.

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) الكافي، الكليني، ج١، ص١٩٢.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[١].

وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

فيأتي بيان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي».

العقل القطعيّ

فالآيات القرآنيّة الّتي ينافي ظهورها الابتدائيّ أحكام العقل القطعيّة لا بدّ من حملها على معنى يتلاءم مع تلك الأحكام، فالعقل يقطع بوجود الإله بعد التفكّر والتدبّر وعدم جواز الجسميّة له، فقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٢]، وإن كان ظاهراً ابتداءً في كون الجائي هو الربّ نفسه، المستلزم للجسميّة الممتنعة في حقّه تعالى، إلّا أنّ حكم العقل القطعيّ باستحالة ذلك (لاستلزامه حاجة الخالق لجسم ما يجعله فقيراً محتاجاً كمخلوقاته) يوجب عدم انعقاد ظهور له في هذا المعنى وهو اتّصاف الربّ بالمجيء المادّي، وعليه فلا بدّ من أن يكون المقصود بالمجيء معنى آخر كحضور صفة من صفات الله تعالى.

والمفسّر عندما يريد كشف مراد الله تعالى يتسلّح بهذه الأمور الثلاثة ويعتمد عليها فلا يجوز الاعتماد على الظنون والاستحسان، ولا على شيء لم يثبت أنّه حجّة من طريق العقل، أو من طريق الشرع، للنهي عن اتّباع الظنّ وحرمة إسناد شيء إلى الله بغير إذنه.

قال تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[٣]. ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٤].

والروايات الناهية عن التفسير بالرأي مستفيضة من الطرفين[٥].

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.
(٣) سورة يونس، الآية: ٥٩.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٥) البيان، ص٣٩٧.

طرائق التفسير

قد ظهرت طرائق متعدّدة في تفسير القرآن الكريم عند المسلمين عامّة نتيجة التحوّلات الفكريّة الّتي شهدتها الأجيال اللاحقة ابتداءاً من القرن الثاني الهجريّ فصاعداً، وذلك مع شيوع المباحث الكلاميّة وانتشار الفلسفة وعلم التصوّف وما سبق ذلك واكتنفه من ميول سلفيّة ظاهريّة؛ كالتفسير بالمأثور والتفسير الفلسفيّ والتفسير الصوفيّ والتفسير الكلاميّ والتفسير البيانيّ والتفسير اللغويّ والتفسير التاريخيّ والتفسير العلميّ. ونحن ذاكرون لكم بعضاً من هذه الطرائق:

١- تفسير القرآن بالقرآن:

وهو يتمّ من خلال مقابلة الآية بالآية، فما أُجمل منها في مكان يتمّ تفسيره في مكان آخر.

وكما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**وإنّ القرآن لم ينزل ليكذّب بعضه بعضاً ولكن نزل يصدّق بعضه بعضاً**»[1].

والقرآن كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض**»[2].

كما أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانوا يستعملون هذا الأسلوب في استدلالاتهم واحتجاجاتهم من قبيل ما ذكر في كتاب الكافي عن عليّ بن يقطين قال: سأل المهديّ (العباسيّ) أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ فإنّ الناس إنّما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون تحريمها؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام: «**بل هي محرّمة**».

فقال: في أيّ موضع هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ يا أبا الحسن؟

(١) الدر المنثور، ٢/٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٣١.

فقال عليه السلام: قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1].

إلى أن قال عليه السلام: **فأمّا الإثم فإنّها الخمر بعينها، وقد قال الله تعالى في موضع آخر:** ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[2].

فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما كما قال تعالى»[3].

٢- التفسير الروائيّ:

وهو التفسير بالأحاديث الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام. والأحاديث هذه تبلغ الآلاف من طريق الشيعة وفيها مقدار كبير من الأحاديث الّتي يمكن الاعتماد عليها. إلّا أنّ هناك آيات لم يرد فيها حديث أصلاً لا من طريق السنّة ولا من طريق الشيعة.

وينبغي الالتفات إلى أنّه ربّما تشير الروايات إلى المصداق الأكمل في تفسير الآية وهذا لا يمنع من تفسير الآية بطريقة أخرى توافق ظاهرها. وقد اشتهر بينهم أنّ المورد لا يخصّص الوارد[4] وذلك لأنّ القرآن يجري مجرى الليل والنهار والشمس والقمر، إلّا أن تقوم قرينة قطعيّة على أنّ آية معينة قد انحصرت في موردها كما في آية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾[5].

ومن التفاسير الّتي اتّبعت هذه المنهجيّة كتاب (نور الثقلين).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٩.
(٣) الكافي، الكليني، ج٦، ص٤٠٦.
(٤) بمعنى أنه إذا كان نزول الآية في مورد ومناسبة محدّدة وخاصّة، فهذا لا يعني انحصار تفسير الآية وتطبيقها على هذا المورد الخاصّ، وأنّ الوارد وهو الآية لا تفسّر بغير هذه المناسبة بل يمكن توسعة الوارد (الآية) لتفسّر وتطبّق على مجالات أخرى.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

٣- التفسير اللغويّ:

وهو تفسير مفردات القرآن واشــتقاقاتها وأصولها، كتفسير (مجمع البيان) للشيخ الطبرسيّ.

وقد تباينت توجّهات المفسّــرين واختلفــت الجهات الّتي احتجّوا بها، كالجهة البلاغيّة والفقهيّة والكلاميّة والفلسفيّة والأخلاقيّة.

القرآن مائدة لجميع الناس

القرآن الكريم كما تقدّم واضــح وميسّــر للفهم. وربما احتــاج إلى تعليم بعض حدود الآية الّتي لم يذكرها الله في الكتاب فأوكلها إلى نبيّه ﷺ وإلّا فإنّ القرآن في نفسه هو هدى ورحمة للعالمين، وكلّ من كان أصفى فطرةً وأكثر فكراً وتدبّراً فإنّه يحظى بفهم أكبر ويكون القرآن شفاءً ومصحّحاً للآراء والأفكار الّتي يحملها.

قــال تعالــى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

فالــكلّ في معرض الاســتفادة من القــرآن الكريم، لذلك تعــدّدت الخطابات لطوائف خاصّة كبني إسرائيل، أو المؤمنين، أو الكفّار، وفي بعض الآيات يخاطب عامّة الناس وبديهيّ أنّه لا يصحّ التكلّم بما لا يكون مفهوماً وواضحاً عندهم.

وأيضــاً نجــد حتّى المعــارف العالية يبثّها القــرآن بلغة يفهمهــا عامّة الناس ويلقيها بشكل محسوس أو ما يقرب منه.

وتبقى الحقائق المعنويّة وراء ســتار الظواهر فتتجلّى حســب الأفهام ويدرك منها كلّ شخص بقدر عقله ومداركه. واحتواء القرآن على معانٍ دقيقة ومفاهيم رقيقة وذلك في مثل صــفاته تعالى الجماليّة والجلاليّة، ومعرفة وجود الإنســان

(١) سورة يونس، الآية: ٥٧.

وسرّ خلقته، ومسائل من المبدأ والمعاد، كلّ ذلك جاء في القرآن في إشارات عابرة وفي ألفاظ وتعابير كنائيّة واستعارة ومجاز، فكان حلّها والكشف عن معانيها بحاجة إلى فقه ودراسة وتدبّر وإمعان نظر.

كما أنّ في القرآن إشارات إلى أحاديث غابرة وأمم خالية، إلى جنب عادات جاهليّة عارَضَها لم يبق منها سوى إشارات عابرة، ولولا الوقوف عليها لما أمكن فهم معاني تلكم الآيات.

هذا مضافاً إلى غرائب اللغة الّتي جاءت في القرآن على أفصحها وأبلغها، وإن كان فهمها صعباً على عامّة الناس لولا الشرح والبيان وغير ذلك من الأمور الّتي استوجبت تفسيراً، وكشفاً لما استتر ومزيداً من إمعان النظر.

إعداد النفس لحضور مائدة القرآن

تزكية النفس وتطهيرها من الأوساخ والأدران الخُلقيّة هو أهمّ شرط من شروط فهم القرآن، وأعظم هذه الأوساخ الأهواء النفسيّة، فما دام الإنسان أسيراً لأهوائه وغرائزه، فإنّه لا يستطيع أن يدرك القرآن الّذي هو نور، يقول الإمام الخمينيّ قدس سره:

«**فالّذين يقفون خلف حجب عديدة لا يمكنهم أن يدركوا النور.. ما دام الإنسان لم يخرج من حجاب نفسه المظلم جدّاً، وطالما أنّه مُبتلى بالأهواء النفسيّة، وطالما أنّه مُبتلى بالعجب، طالما أنّه مُبتلى بالأمور الّتي أوجدها في باطن نفسه، وتلك الظلمات الّتي (بعضها فوق بعض) فإنّه لا يكون مؤهّلاً لانعكاس هذا النور الإلهيّ في قلبه**»[1].

نعم، قد يتمكّن مثل هذا الإنسان من فهم بعض ظواهر الألفاظ، ولكنّه لن يصل إلى فهم مقاصده الأصليّة ومراميه الكلّيّة.

(١) القرآن في كلام الإمام الخميني قدس سره، ط٤ آذار ٢٠٠٩م -١٤٣٠هـ، ص٢٤.



خلاصة

المـراد مـن ظاهر القـرآن ما يفهمه العـرف العام العـارف باللّغـة العربيّة الفُصـحى من اللّفظ، وقول المعصـوم نبيّـاً كان أو إماماً حجّةٌ في مقام كشـف مراد الله تعالى من آيات الكتاب العزيز.

والآيات القرآنيّة الّتي يُنافي ظهورها الابتدائيّ أحكام العقل القطعيّة لا بدّ من حملها على معنى يتلاءم مع تلك الأحكام.

من طرائق التفسير

- **تفسير القرآن بالقرآن.**
- **التفسير الروائيّ:** وهو التفسير بالأحاديث الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام.

.التفسير اللغويّ: وهو تفسير مفردات القرآن واشتقاقاتها وأصولها.

ومـع ذلك فالقـرآن مائدة لجميـع الناس، قال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. ولكـن لا بـدّ للشـخص المفسِّـر من أن يطهّر نفسـه من أدران الذنوب حتّى يكون مؤهّلاً لنيل المعارف القرآنيّة ونزول النور الإلهيّ على قلبه.



للمطالعة

ما كان يُوصي أمير المؤمنين عليه السلام به عند القتال

عن عقيل الخزاعيّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا حضر الحرب يُوصي للمسلمين بكلمات فيقول: تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقرّبوا بها فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. وقد علم ذلك الكفّار حين سُئلوا ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[1]. وقد عرف حقّها من طرقها وأكرم بها من المؤمنين الّذين لا يشغلهم عنها زين متاع ولا قرّة عين من مال ولا ولد. يقول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾[2]. وكان رسول اللّه منصّباً لنفسه بعد البشرى له بالجنّة من ربّه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ..﴾[3] فكان يأمر بها أهله ويصبّر عليها نفسه. ثمّ إنّ الزكاة جُعلت مع الصلاة قُرباناً لأهل الإسلام على أهل الإسلام ومن لم يُعطها طيّب النفس بها يرجو بها من الثمن ما هو أفضل منها فإنّه جاهل بالسنّة، مغبون الأجر ضالّ العمر، طويل الندم بترك أمر اللّه عزَّ وجلَّ والرغبة عمّا عليه صالحوا عباد اللّه، يقول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾[4] من الأمانة فقد خسر من ليس من أهلها وضلّ عمله، عرضت على السماوات المبنيّة والأرض المهاد والجبال المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم لو امتنعن من طول أو عرض أو عظم أو قوّة أو عزّة

(١) إشارة إلى قول اللّه عزَّ وجلَّ في سورة المدثر آيات ٢٤ إلى ٦٤ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٨.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢، واصطبر أي داوم.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٥ (نوله ما تولى) أي نقرّبه ما تولى من الضلال ونخلّي بينه وبين ما اختاره.

امتنعن ولكن أشـفقن من العقوبة[1]. ثمّ إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام وهـو قوام الدين والأجـر فيه عظيم مع العزّة و المنعة وهو الكره فيه الحسـنات والبشـرى بالجنّة بعد الشـهادة وبالرزق غداً عند الربّ والكرامة، يقول اللّه عزَّ وجـلَّ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا﴾[2] ثـمّ إنّ الرعب والخوف من جهاد المسـتحقّ للجهاد والمتوازرين على الضـلال ضـلال في الدين وسلب للدنيا مع الذلّ والصَّغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال يقول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾[3].
فحافظوا على أمر اللّه عزَّ وجلَّ في هذه المواطن الّتي الصبر عليها كرم وسعادة ونجـاة في الدنيا والآخرة من فظيع الهول والمخافة فإنّ اللّه عزَّ وجلَّ لا يعبأُ بما العباد مقترفون ليلهم ونهارهم، لطف به علماً، وكلّ ذلك في كتاب لا يضـلّ ربّي ولا ينسـى، فاصبروا وصابروا واسألوا النصر ووطّنوا أنفسكم على القتال واتّقوا اللّه عزَّ وجلَّ فإنّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[4].

(١) في النهج (ولا أعظم منها ولو امتنع شيء منها بطول أو عرض أو قوة أو عزّ لأمتنعن ولكن الخ). (أشفقن من العقوبة) أي خفن، والاشفاق: الخوف.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٥.
(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٣٦ – ٣٨.





الدرس الثاني عشر

نماذج من التفسير الموضوعيّ(١)

(التوحيد)



أهداف الدرس

١. أن يستظهر الطالب موضوع التوحيد في القرآن.

٢. أن يتبيّن مراتب التوحيد.





التوحيد

التوحيد أساس دعوة الأنبياء:

أصل التوحيد هو من أهمّ المسائل الاعتقاديّة الّتي تصدَّرت التعاليم السماويّة حيث يُعدُّ أساساً لسائر التعاليم والمعارف الإلهيّة الّتي جاء بها الأنبياء والرسل.

والتوحيد أصل من أصول الدين، يجب الإيمان به ومُنكره يُعتبر كافراً وخارجاً عن ملّة المسلمين.

معنى التوحيد:

هو الاعتقاد بأنّ اللّه تعالى واحد لا شريك له، وأحد لا شبيه له ولا مثيل.

مراتب التوحيد:

للتوحيـد مراتب عديدة، ويؤدّي إنكارها أو بعضـها إلى الخـروج عن الإيمان والإسلام، ومن هذه المراتب:

المرتبة الأولى: التوحيد في الذات

والمراد منه هو أنّه سـبحانه واحد لا نظير له، فردٌ لا مثيل له، بل لا يمكن أن يكون له نظير أو مثيل.

ويدلّ على ذلك مضافاً إلى البراهين العقليّة قوله سبحانه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على أنّه تعالى واحد لا نظير له ولا مثيل ولا ثانيَ ولا عدل.

ومن ادّعى له شريكاً أو مثيلاً أو جعله ثالث ثلاثة فقد كفر، يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[4].

ولو كان للّه تعالى شريك لاختلّ نظام الكون وفسد ولذهب كلّ إله بما خلق كما يقول تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[5].

وجاء في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «**يا بُنيّ لو كان لربّك شريك، لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه...**»[6]. فمن الطبيعيّ أنّه لو كان هناك شريك للّه تعالى لظهرت آثاره ولأرسل الرسل تبشّر به وتدعو إليه. ومع عدم وجود هذه الآثار كيف نحكم بوجوده؟ فهذا يدل على عدم وجود شريك له سبحانه.

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) سورة الإخلاص، الآيات: ١ ـ ٤.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٤.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٣.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٦) موسوعة الإمام الجواد، ج٢، ص٥٧٠.

المرتبة الثانية: التوحيد في الخالقيّة

والمراد منه هو أنّه ليس في الوجود خالق أصيل غير اللّه، ولا فاعل مستقلّ سواه، وأنّ كل ما في الكون من مجرّات ونجوم وكواكب وأرض وجبال وبحار، وما فيها ومن فيها، وكلّ ما يُطلق عليه أنّه فاعل وسبب فهي موجودات مخلوقة للّه تعالى. وأنّ كلّ ما ينتسب إليها من الآثار ليس لذوات هذه الأسباب، وإنّما ينتهي تأثير هذه المؤثّرات إلى اللّه سبحانه، فجميع هذه الأسباب والمسبّبات رغم ارتباط بعضها ببعض مخلوقة للّه، فإليه تنتهي العلّية والسببيّة، فهو خالق العلل ومسبِّبها.

ويدلّ على ذلك مضافاً إلى الأدلّة العقلية قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[2].

وقوله جلّ وعلا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[4] إلى غير ذلك آيات كثيرة تدلّ على ذلك.

المرتبة الثالثة: التوحيد في الربوبيّة

والمراد منه هو أنّ للكون مدبّراً واحداً، ومتصرّفاً واحداً لا يشاركه في التدبير شيء، وأنّ تدبير الملائكة وسائر الأسباب إنّما هو بأمره سبحانه. وهذا على خلاف رأي بعض المشركين الّذين يعتقدون أنّ الّذي يرتبط باللّه تعالى إنّما هو الخلق والإيجاد والابتداء، وأمّا التدبير فقد فوِّض إلى الأجرام السماويّة

(١) سورة الرعد، الآية: ١٦.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٢.
(٣) سورة غافر، الآية: ٦٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.

والملائكة والجنّ والموجودات الروحيّة الّتي تحكي عنها الأصنام المعبودة، وليس له أيّ دخالة في تدبير الكون وإدارته وتصريف شؤونه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[٢].

فإذا كان هو المدبِّر وحده فيكون معنى قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[٤]. إنّ هذه مدبِّرات بأمره وإرادته تعالى، فلا يُنافي ذلك انحصار التدبير الاستقلاليّ في الله سبحانه.

وقد دلّ القرآن الكريم على وحدة المدبّر في العالم في آيتين:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٥].

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٦].

وهما يعنيان: أنّ تصوّر المدبِّر لهذا العالم على وجوه:

١- أن يتفرّد كلّ واحد من الآلهة بتدبير مجموع الكون باستقلاله، ففي هذه الصورة يلزم تعدّد التدبير؛ وهذا يستلزم طروء الفساد على العالم وذهاب الانسجام والنظام المشهود.

(١) سورة يونس، الآية: ٣.
(٢) سورة الرعد: الآية: ٢.
(٣) سورة النازعات، الآية: ٥.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾.

٢- أن يدبّر كل واحد قسماً من الكون الّذي خلقه، وعندئذ يجب أن يكون لكلّ جانب من الجانبين نظام مستقلّ خاص مغاير لنظام الجانب الآخر وغير مرتبط به أصلاً، وعندئذ يلزم انقطاع الارتباط وذهاب الانسجام والنظام من الكون، في حين أنّنا لا نرى في الكون إلّا نوعاً واحداً من النظام يسير على قانون مترابط دقيق يسود كلّ جوانب الكون من الذرّة إلى المجرّة.

وإلى هذا الوجه أشار قوله تعالى: ﴿...إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾.

٣- أن يتفضّل أحد هذه الآلهة على البقيّة ويكون حاكماً عليهم ويوحّد جهودهم وأعمالهم ويُسبغ عليها الانسجام والاتّحاد والنظام الواحد وعندئذ يكون الإله الحقيقيّ هو هذا الحاكم دون الباقين.

وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وإلّا لو لم يكن هناك إله واحد لتصارع الآلهة وخرب الكون وفسد وفني؛ لأنّ كلّ واحد يُريد أن يعلو على الآخر ويتفرّد في الحكم والتدبير.

المرتبة الرابعة: التوحيد في العبادة:

وهو أن تؤمن بأنّ المستحقّ للعبادة هو الله تعالى وحده لأنّه هو الخالق والعبوديّة من شأن الخالق الغنيّ غير المحتاج، لذلك يستحقّها وحده دون غيره، كما نقرأ في سورة الحمد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فهنا القرآن الكريم حصر العبوديّة بالله تعالى ويقول: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[١].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.



خلاصة

أصل التوحيد هو من أهمّ المسائل الاعتقاديّة الّتي تصدّرت التعاليم السماويّة ويُعَدّ أساساً لسائر التعاليم والمعارف الإلهيّة الّتي جاء بها الأنبياء والرسل.

التوحيد هو الاعتقاد بأنّ اللّه تعالى واحد أحد لا شريك له ولا شبيه ولا مثيل.

للتوحيد مراتب عديدة يؤدّي إنكارها إلى الخروج عن الإيمان والإسلام منها:

١- التوحيد في الذات.

٢- التوحيد في الخالقيّة.

٣- التوحيد في الربوبيّة.

٤- التوحيد في العبادة.



التوحيد

قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر الجعفيّ[1]:

«يا مفضّل أوّل العبر والدلالة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبنيّ المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مضيئة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكلّ شيء فيها لشأنه معدّ، والإنسان كالمالك ذلك البيت والمخوّل جميع ما فيه، وضروب النبات مهيَّأة لمأربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملاءمة وأنّ الخالق له واحد وهو الّذي ألّفه ونظمه بعضاً إلى بعض جلَّ قدسه وتعالى جدّه وكرم وجهه ولا إله غيره تعالى عمّا يقول الجاحدون وجلَّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون».

«خلق الإنسان وتدبير الجنين في الرحم».

«نبدأ يا مفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرّة فإنّه يجري من دم الحيض، ما يغذوه الماء والنبات، فلا يزال ذلك غذاؤه».

«كيفيّة ولادة الجنين وغذائه وطلوع أسنانه وبلوغه».

«حتّى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه وبصره على ملاقاة الضياء،

(١) توحيد المفضل، ص١٦.

هاج الطلق بأمّه فأزعجه أشدّ إزعاج وأعنفه حتّى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدم الّذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثديها وانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء وهو أشدّ موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمّظ[1] وحرّك شفتيه طلباً للرضاع»...



(١) تلمّظ: أخرج لسانه ومسح به شفتيه.



الدرس الثالث عشر

نماذج من التفسير الموضوعيّ (٢)

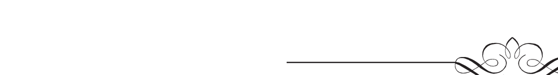
(النصر)

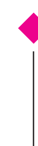


أهداف الدرس

١. أن يستظهر الطالب موضوع النصر في القرآن.

٢. أن يعدّد شروط النصر الإلهيّ.





النصر

أ- نصر الله تعالى:

في القرآن الكريم كثير من الآيات الكريمة تضيف النصر إلى الله تعالى، يقول تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[1].

﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2].

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وهذه الإضافة أي إضافة النصر إلى الله تعالى تعني أنّ النصر يحتاج إلى مدد إلهيّ، فإنّ كل شيء في الوجود لا يمكن له أن يستغني عن العون والمدد والتوفيق الإلهيّ، وهي إمدادات غيبيّة ترتفع عن المسائل الحسيّة. وقبل الحديث عن أنواع الإمدادات وشروطها، نتعرّض بالإشارة إلى مصطلحين قرآنيّين:

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

١- الرحمة الرحمانيّة:

هي الألطاف الإلهيّة الشاملة لكلّ الموجودات للمؤمن وغيره، فوجود كلّ شيء في هذا العالم بنفسه رحمة لذلكَ الموجود. وكذلك تعتبر كلّ الوسائل الّتي خُلقت لأجل وجوده والحفاظ على بقائه رحمة له أيضاً، وهذه الرحمة تُفاض وفق قوانين طبيعيّة عامّة.

٢- الرحمة الرحيميّة:

هي تلك الألطاف الإلهيّة الخاصّة، الّتي تشمل المكلَّف المؤمن خاصّة لحسن طاعته وامتثاله وأدائه، وهي تُفاض وفق شروط وقوانين خاصّة ومعيّنة.

ونحن نطلب من اللّه تعالى هذا النوع الخاصّ من الرحمة يوميّاً في صلاتنا:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

وتشمل هذه الألطاف الإنسان في حياته الفرديّة أو الاجتماعيّة وتُنقذه من كثير من المآزق.

وقد شمل اللّه تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بمثل هذه الألطاف حيث يقول القرآن بحقّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[2].

فالإنسان المؤمن بحاجة إلى مثل تلك الألطاف الإلهيّة الخاصّة، والنصر من اللّه تعالى هو لطف منه على عباده المؤمنين، وهو مدد غيبيّ لا يتحقّق إلّا بشروط أقرّها اللّه تعالى.

ب- شروط النصر الإلهي

١- الإيمان: يقول تعالى:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٢) سورة الضحى، الآيات: ٦-٨.
(٣) سورة الروم، الآية: ٤٧.

٢ - العمل والجهاد: قال تعالى:

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[(١)].

فقوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ في هذه الآية، يُفهم منه صريحاً أنّ إعطاء ومنح النصر مشروط بمن يعمل وينصر ويجاهد في سبيل الله، والآيات الكريمة في الحثّ على الجهاد كثيرة، فليس الأمر كما قال اليهود للنبيّ موسى عليه السلام حين أمرهم بالقتال لدخول الأرض المقدّسة:

﴿... فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[(٢)].

٣ - الأمل والصدق: يقول تعالى:

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[(٣)].

فنلاحظ أنّ الله تعالى أراد للمؤمنين رغم ما بهم من ضيق وضرّ وبأساء أن يأملوا نصر الله فهو قريب.

ويقول أمير المؤمنين والمجاهدين الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة:

«... **ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلَين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا ومرّة لعدوّنا منا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل لعدوّنا الكبت وأنزل علينا النصر حتّى استقرّ الإسلام...**»[(٤)].

(١) سورة محمد، الآية: ٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.
(٤) نهج البلاغة، من كلام له في وصف حربهم على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، ج١، ص١٠٤، تحقيق الشيخ محمد عبده، الخطبة ٥٦.

٤ - **في سبيل الله:** أن يكون العمل والجهاد كلّه في سبيل الله، فالنصرة لا بدّ أن تكون للّه:

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾.

والمجاهدة لا بدّ أن تكون في اللّه:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

٥- **إعداد العدّة:** قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2].

إذاً لا يتحقّق المدد الغيبيّ والنصر الإلهيّ عبثاً ولا مجّاناً ونحن عاكفون في البيوت كما قال اليهود لنبيّهم:

﴿... فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[3].

بل لا بدّ من توفّر الشروط الموضوعيّة لكي تتحقّق الألطاف الإلهيّة، وليست هذه الشروط من المستحيلات.

فدروس وعبر المسلمين الأوائل إلهامات مهمَّة لكي نأخذ منها المدد والدروس الواقعيّة.

ج- النصر ودخول الناس في الإسلام:

إنّ النصر له آثار مهمّة على النّاس المنتَصر عليهم وغيرهم، من حيث تهيئتهم للدخول في الإسلام العظيم، فالناس مع المنتصر القويّ، لا مع المنهزم الضعيف.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

لذلك نرى السورة الكريمة ترتّب على النصر دخول الناس في دين اللّه أفواجاً.

د- استمراريّة النصر مشروطة:

النصر تعقبه انفعالات نفسيّة خطيرة على المنتصرين كالعجب، والغرور، والتكبّر، والاقتناع بما وصلوا إليه، إلى غير ذلك من الصفات. من هنا ولكي يستمرّ النصر لا بدّ من إزالة هذه الرذائل الأخلاقيّة من نفوس المؤمنين، بالتسبيح والاستغفار والشكر، والتواضع أمام نعم اللّه سبحانه والاعتقاد بأنّ هذه النعمة العظيمة منه عزَّ وجلَّ، وملك له متى ما شاء أخذها، وبذلك تدوم العلاقة باللّه تعالى.



خلاصة

في القرآن الكريم كثير من الآيات الكريمة تضيف النصر إلى اللّه تعالى، يقول تعالى:

﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1].

والنصر يحتاج إلى مدد إلهيّ، أمّا أسبابه فهي: الإيمان، العمل والجهاد، الأمل والصدق، في سبيل اللّه، وإعداد العدّة.

إنّ النصر له آثار مهمّة على النّاس المنتصر عليهم وغيرهم، من حيث تهيئتهم للدخول في الإسلام العظيم، فالناس مع المنتصر القويّ، لا مع المنهزم الضعيف.

ولكي يستمرّ النصر لا بدّ من إزالة الرذائل الأخلاقيّة من نفوس المؤمنين كالتكبّر والاستعلاء وحبّ النفس..

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

للمطالعة

سورة النصر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ * وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا * فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

شرح المفردات:

١- دين اللّه: الإسلام.

٢- أفواجاً: جماعة بعد جماعة وزمرة بعد زمرة.

٣- سبِّح: نزّه.

محتوى السورة وفضيلتها:

نزلت هذه السورة في المدينة المنوّرة بعد الهجرة، وفيها بُشرى النصر العظيم ودخول الناس في دين اللّه أفواجاً، وهي تدعو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يسبّح اللّه ويحمده ويستغفره شكراً على هذه النعمة، وكذا سائر المؤمنين.

في الإسلام فتوحات كثيرة، ولكنّ فتحاً بالمواصفات المذكورة في السورة ما كان سوى «**فتح مكّة**»، خاصّة وأنّ العرب كما جاء في الروايات كانت تعتقد أنّ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيع أن يفتح مكّة إلّا إذا كان على حقّ... ولو لم يكن على حقّ فربُّ البيت يمنعه كما منع جيش «**أبرهة**». ولذلك دخل العرب في دين اللّه بعد فتح مكّة أفواجاً.

وقد نزلت هذه السورة بعد «**صلح الحديبيّة**» في السنة السادسة للهجرة، وقبل عامين من فتح مكّة.

أمّا ما ذكره بعضهم من نزول هذه السورة بعد فتح مكّة في السنة العاشرة للهجرة في حجّة الوداع فبعيد جدّاً، لأنّ عبارات السورة لا تنسجم وهذا المعنى، فهي تخبر عن حادثة ترتبط بالمستقبل لا بالماضي.

ومن أسماء هذه السورة «**التوديع**» لأنّها تشعر بقرب رحلة النبيّ ﷺ إلى ربّه عزّ وجلّ.

في الرواية أنّ هذه السورة لمّا نزلت قرأها رسول اللّه ﷺ على أصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العبّاس فبكى.

فقال ﷺ: ما يبكيك يا عمّ؟

فقال: أظنّ أنه قد نُعيت إليك نفسك يا رسول اللّه.

فقال ﷺ: «إنّه لكما تقول»(١).

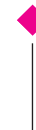
ظاهر السورة ليس فيه إنباء عن قرب رحلة الرسول ﷺ بل عن الفتح والنصر. فكيف فهم العبّاس أنّها تنعى إلى الرسول ﷺ نفسه؟

يبدو أنّ دلالة السورة على اكتمال الرسالة وتثبيت الدين هو الّذي أوحى بقرب ارتحال الرسول ﷺ إلى جوار ربّه.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«**من قرأ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ في نافلة أو فريضة نصره الله على جميع أعدائه، وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق قد أخرجه الله من جوف قبره، فيه أمان من حرّ جهنّم...**»(٢).

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص ٥٥٤. هذه الرواية وردت بألفاظ مختلفة: الميزان، ج٢٠، ص٥٣٢.
(٢) م.ن.





الدرس الرابع عشر

تفسير سورة الفاتحة -١-



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى خصائص سورة الفاتحة.

٢. أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .

١- خصائصها:

لهذه السّورة مكانة متميّزة بين سور القرآن الكريم. وتبدأ هذه السّورة - بعد البسملة- بحمد اللّه والثناء عليه، وتستمرّ في إقرار الإيمان بالمبدأ والمعاد «**باللّه ويوم القيامة**»، وبحصر العبادة والاستعانة باللّه تعالى، وتنتهي بالتضرّع والطلب للهداية، والتبرّؤ من أهل الضلالة والغواية..

سورة الحمد أساس القرآن: فقد رويَ عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال لجابر بن عبد اللّه الأنصاري: «**ألا أُعلّمُك أفْضَل سُورَة أنْزَلَها اللّه في كتابه؟**» قَالَ جَابِرُ: بَلى بأَبي أَنْتَ وَأمّي يَا رَسُولَ اللّه، عَلِّمْنيهَا. فَعَلَّمَهُ الْحَمْدَ أُمَّ الْكِتَاب، وَقَالَ: «**هي شفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاء، إلاّ السَّامَ، وَالسَّامُ الْمَوْتُ**»[١].

أمّ الكتاب: وروي عنه ﷺ أيضاً أَنَّهُ قَالَ: «**وَالّذي نَفْسي بيَده مَا أَنْزَلَ اللّه**

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٦، ص٢٣٢.

فـي التَّـوْرَاة، وَلاَ فـي الإنجيـل ولا فـي الزَّبُـورِ وَلا فـي الْقُـرْآنِ مِثْلَهَا، وَهِـيَ أُمُّ الْكِتَابِ»[1].

٢- أهميّتها:

أهميّة هذه السّورة تتّضح من محتواها، فهي في الحقيقة عرض لكلّ محتويات القـرآن، فجانب منها يختصّ بالتوحيد وصـفات اللّه، وجانب آخر بالمعاد ويوم القيامة، وقسـم منهـا يتحدّث عن الهداية والضـلال باعتبارهما علامة التمييز بين المؤمن والكافر، وفيها أيضـاً إشارات إلى حاكمية اللّه المطلقة، وإلى مقام ربوبيّتـه، ونعمـه اللّامتناهية العامّة والخاصّـة «**الرحمانية والرحيميـة**»، وإلى مسألة العبادة والعبوديّة واختصاصهما بذات اللّه دون سواه.

إنّها تتضـمّن فـي الواقع توحيد الـذات، وتوحيد الصـفات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد العبادة.

وبعبارة أُخرى: تتضمّن هذه السّورة مراحل الإيمان الثلاث: الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. ومن المعلوم أنّ لفظ «**الأُمّ**» يعني هنا الأساس والجذر.

٣- محتوى السّورة:

ويُمكن تقسيم هذه السّورة، من منظار آخر، إلى قسمين: قسم يختصّ بحمد اللّه والثناء عليه، وقسم يتضمّن حاجات العبد.

وإلى هذا التقسيم يُشير الحديث الشريف عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«**قَـالَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: قَسَّـمْتُ فَاتِحَـةَ الْكِتَابِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، فَنِصْـفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَل.**

---

(١) مستدرك الوسائل، النوري، ج٤، ص٣٣٢.

إذا قال العَبْدُ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله جلَّ جلالُهُ: بَدأ عَبدِي باسْمِي وَحَقٌّ عَلَيَّ أنْ أُتَمِّمَ لَهُ أُمُورَهُ وَأُبارِكَ لَهُ فِي أحوالِه.

فإذا قالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله جَلَّ جلالُهُ: حَمَدَني عَبدي وَعَلِمَ أنَّ النِعَمَ الَّتِي لَهُ مِنْ عِنْدِي، وَأَنَّ البَلايا الَّتِي دَفَعْتُ عَنْهُ فبتَطَوُّلِي، أُشْهِدُكُمْ أنِّي أُضِيفُ لَهُ إلى نِعَمِ الدُّنْيَا نِعَمَ الآخِرَةِ، وَأدْفَعُ عَنْهُ بَلايَا الآخِرَةِ كَمَا دَفَعْتُ عَنْهُ بَلاَيَا الدُّنْيَا.

وَإذا قالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قالَ الله جَلَّ جَلالُهُ: شَهِدَ لِي عَبْدِي أنِّي الرَّحْمنُ الرَّحيمُ، أُشْهِدُكُمْ لأُوَفِّرَنَّ مِنْ رَحْمَتِي حَظَّهُ وَلأُجْزِلَنَّ مِنْ عَطَائِي نَصِيبَهُ.

فإذَا قالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قالَ الله تعالى: أُشهِدُكُمْ كَمَا اعْتَرَفَ بِأَنِّي أنَا مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ لأُسَهِّلَنَّ يَوْمَ الحِسابِ حِسَابَهُ، وَلأَتَقَبَّلَنَّ حَسَنَاتِه، وَلأَتَجَاوَزَنَّ عَنْ سَيِّئَاتِه.

فإذَا قالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي، إيَّايَ يَعْبُدُ أُشْهِدُكُمْ لأُثِيبَنَّهُ عَلَى عِبادَتِهِ ثَوَاباً يَغْبِطُهُ كُلُّ مَنْ خَالَفَهُ في عِبادَتِه لي.

فإذَا قالَ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قالَ الله تعالى: بِيَ اسْتَعَانَ عَبْدِي، وَإلَيَّ الْتَجَأَ، أُشْهِدُكُمْ لأُعِينَنَّهُ عَلى أمْرِه، ولأُغيثَنَّهُ فِي شَدَائِدِهِ ولآخُذَنَّ بيدِهِ يَوْمَ نَوَائِبِه.

فإذَا قالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السّورة قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ وَقَد اسْتَجَبْتُ لِعَبْدِي وَأَعْطَيتُهُ مَا أَمَّلَ وَآمَنْتُهُ مِمَّا مِنْهُ وَجِلَ»[1].

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨٢، ص٦٠.

٤- في رحاب سورة الفاتحة

١- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

دأبت الأمم والشّعوب على أن تبدأ كلّ عمل هامّ ذي قيمة باسم كبير من رجالها. والحجر الأساس لكلّ مؤسّسة هامّة يوضع باسم شخصيّة مرموقة في نظر أصحابها، أي أنّ أصحاب المؤسّسة يبدأون العمل باسم تلك الشّخصيّة.

ولكن، أليس من الأفضل أن يبدأ العمل في أُطروحة أُريد لها البقاء والخلود باسم وجود خالد قائم لا يعتريه الفناء؟ فكلّ ما في الكون يتّجه إلى الزّوال والفناء، إلّا الذّات الأبديّة الخالدة... ذات اللّه سبحانه.

إنّ خلود ذكر الأنبياء سببه ارتباطهم باللّه وبالقيم الإنسانيّة الإلهيّة الخالدة كالعدالة وطلب الحقيقة، وخلود اسم رجل في التّاريخ مثل «**حاتم الطّائيّ**» يعود إلى ارتباطه بواحدة من تلك القيم هي «**السّخاء**».

صفة الخلود والأبديّة يختصّ بها اللّه تعالى من بين سائر الموجودات، ومن هنا ينبغي أن يُبدأ كلّ شيء باسمه وتحت ظلّه وبالاستمداد منه. ولذلك كانت البسملة أوّل آية في القرآن الكريم.

ولذلك جاء في الحديث النّبويّ الشّريف: «**كُلُّ أَمْرٍ ذي بَالٍ لا يُذْكَرُ اسْمُ اللهِ فيه فَهُوَ أَبْتَرُ**»[(١)].

وأمير المؤمنين عليه السلام بعد نقله لهذا الحديث الشريف قَالَ: «**إنَّ الْعَبْدَ إذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ أَوْ يَعْمَلَ عَمَلاً فَيَقُولُ بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فَإنَّهُ يُبَارَكُ فيه**»[(٢)].

ويقول الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام:

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٧، ص١٧٠.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨٩، ص٢٤٣.

«... وَيَنْبَغي الاتْيَانُ بِه عِنْدَ افْتِتَاحِ كُلِّ أَمْرٍ عَظِيمٍ أَوْ صَغِيرٍ لِيُبَارَكَ فيه»[1].

بعبارة موجزة: بقاء العمل وخلوده يتوقّف على ارتباطه بالله.

٢ـ كلمة: الله

وهي علم للذات الإلهيّة المقدّسة وهي أشمل أسماء ربّ العالمين، فكلّ اسم ورد لله في القرآن الكريم وسائر المصادر الإسلاميّة يُشير إلى جانب معيّن من صفات الله. والاسم الوحيد الجامع لكلّ الصفات والكمالات الإلهيّة أو الجامع لكلّ صفات الجلال والجمال هو «**الله**».

ولذلك اعتُبرت بقيّة الأسماء صفات لله تعالى مثل: «**الغفور**» و«**الرحيم**» و«**السميع**» و«**العليم**» و«**البصير**» و«**الرزّاق**» و«**ذو القوّة**» و«**المتين**» و«**الخالق**».

٣ ـ الرّحمة الإلهيّة الخاصّة والعامّة:

المشهور بين جماعة من المفسّرين أنّ صفة «**الرحمن**» تُشير إلى الرحمة الإلهيّة العامّة، وهي تشمل الأولياء والأعداء، والمؤمنين والكافرين، والمحسنين والمسيئين، فرحمته تعمّ المخلوقات، وخوان فضله ممدود أمام جميع الموجودات، وكلّ العباد يتمتّعون بموهبة الحياة، وينالون حظّهم من مائدة نعمه اللّامتناهية. وهذه هي رحمته العامّة الشاملة لعالم الوجود كافّة وما فيه من كائنات.

وصفة «**الرحيم**» إشارة إلى رحمته الخاصّة بعباده الصالحين المطيعين، قد شملتهم بإيمانهم وعملهم الصالح، وَحُرِم منها المنحرفون والمجرمون.

وفي رواية عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «**وَاللهُ إلهُ كُلِّ شَيْءٍ الرَّحْمنُ بِجَمِيعِ خَلْقِه، الرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنينَ خَاصَّةً**».

(١) التفسير الصافي، الكاشاني، ج١، ص٨٢.

٤- الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بعد البسملة، أوّل واجبات العباد أن يستحضروا دوماً مبدأ عالم الوجود، ونعَمه اللامتناهية، هذه النِّعم الّتي تُحيطنا وتغمر وجودنا، وتهدينا إلى معرفة اللَّه من جهة، وتدفعنا إلى طريق العبوديّة من جهة اُخرى.

وعندما نقول إنّ النِّعم تُشكِّل دافعاً ومحرِّكاً إلى طريق العبوديّة فذلك، لأنّ الإنسان مفطور على البحث عن صاحب النعمة حينما تصله النعمة، ومفطور على أن يشكر المنعِم على إنعامه.

من هنا فإنّ علماء الكلام (علماء العقائد) يتطرّقون في بحوثهم الأوّلية لهذا العلم إلى «**وجوب شكر المنعم**» باعتباره أمراً فطريّاً وعقليّاً دافعاً إلى معرفة اللَّه سبحانه.

وإنّما قُلنا إنّ النِّعم تهدينا إلى معرفة اللَّه، لأنّ أفضل طريق وأشمل سبيل لمعرفته سبحانه، دراسة أسرار الخليقة، وخاصّة ما يرتبط بوجود النِّعم في حياة الإنسان.

خطّ التوحيد الّذي دعا إليه الأنبياء عليهم السلام يتميّز بنبذ فكرة الأرباب المتعدِّدين، وهداية البشريّة نحو الإله الواحد الأحد، وانطلاقاً من هذه الأهميّة القصوى للقضاء على الآلهة المتعدِّدة جاء التأكيد القرآنيّ بعد آية البسملة بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وبهذا يرسم القرآن الكريم خطّ البطلان على جميع الأرباب المزيّفين، ويغرس محلّها أزهار التوحيد والاتّحاد.

هذا التأكيد يتلوه الإنسان المسلم عشر مرّات في صلواته اليوميّة ـ على الأقل ـ لتترسّخ فكرة التوحيد، وفكرة رفض ربوبيّة كلّ الأرباب المدّعاة، غير ربوبيّة اللَّه ربّ العالمين.

ربوبيّة الله طريق لمعرفة الله

كلمة (الربّ)، وإن كانت تعني في الأصل المالك والصاحب، إلّا أنّها تتضمّن أيضاً معنى الصاحب المتعهّد بالتربية والرعاية.

وإمعان النظر في المسيرة التكامليّة للموجودات الحيّة، وفي التغييرات والتحوّلات الّتي تجري في عالم الجماد، وفي الظروف الّتي تتوفّر لتربية الموجودات، وفي تفاصيل هذه الحركات والعمليّات، هو أفضل طريق لمعرفة الله. والتنسيق اللاإراديّ بين أعضاء جسدنا هو نموذج حيّ لذلك.

يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

(١) سورة فصّلت، الآية: ٥٣.



خلاصة

من خصائص سورة الحمد أنّها أساس القرآن وأمّ الكتاب

أهمّيّة هذه السّورة تتّضح من محتواها، فهي في الحقيقة عرض لكلّ محتويات القرآن من توحيد ومعاد وهداية وضلال.. تتضمّن هذه السّورة مراحل الإيمان الثلاث: الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. ويُمكن تقسيم هذه السّورة، من منظار آخر، إلى قسمين: قسم يختصّ بحمد الله والثناء عليه، وقسم يتضمّن حاجات العبد.

للمطالعة

الإعجاز العلميّ في القرآن

كلّ الكواكب متحرّكة

لقد أصبح أمراً ثابتاً ومؤكّداً في علم الفلك الحديث بأنّه لا وجود لكوكب ساكن في الكون وأنّه لا صحّة لفكرة تقسيم السيّارات والكواكب إلى ثابتة ومتحرّكة كما كان يقول القدماء، بل إنّه لا وجود حتّى لكوكب واحد ساكن في هذا العالم اللّامتناهي. وحتّى سنين خلت كانت السيّارات تُعدّ بحدود الـ٣٠٠ مليون بينما صاروا يعجزون اليوم عن عدّها وإحصائها.

وقد ورد في القرآن الكريم بصراحة قول الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي أنّه لا وجود للكوكب الثابت بل إنّ كلّ واحد منها يسبح ويتحرّك في المدار الّذي حُدِّد له من قبَل الله تعالى، في حين أنّ بطليموس كان يقول بأنّ الفلك الثامن ما هو إلّا عبارة عن فلك ثابت وأنّ الكواكب الموجودة فيه كواكب ساكنة، لكنّ القرآن الكريم يؤكّد أنّ الجميع في حالة حركة مستمرّة.

الجبال هي المسامير المُثبتة للأرض

لقد أصـبح من الأمور الثابتة اليوم كون الجبال الواقعة فوق الأرض والممتدّة جذورها في عمق الكرة الأرضيّة هي السبب في استقرار الأرض. فلولا وجود هذه الجبال فإنّ هذه الكرة الأرضيّة الّتي تقطع أربعة فراسخ في حركتها الانتقاليّة في كلّ دقيقة وأربعة فراسخ أخرى في حركتها الموضعيّة في كلّ ثانية و٢٤٠ فرسخاً في حركتها الدورانيّة حول نفسـها كانت في طريقها إلى الزوال والتلاشـي، لكنّ هذه الجبال هي الّتي تمنع تلاشيها. وهذا الأمر سبق أن أشار إليه القرآن المجيد وأكّده قبل ما يزيد على ألف وأربعمائة سـنة مضـت حيـث قال تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ كما جاء في سورة النبأ، الآية: ٧.

وكما يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في إحدى خطبه الغراء: «**فطر الخلائق بقدرته ووتّد بالصخور ميدان أرضه**»[١].

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٤١.



الدرس الخامس عشر

تفسير سورة الفاتحة -٢-



أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب بعضاً من معاني آيات سورة الفاتحة المباركة.

٢. أن يتعرّف إلى صفات أهل الهدى وأهل الضلال.



١ - مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

هذه الآية تُلفت الأنظار إلى أصل هامّ آخر من أصول الإسلام، هو يوم القيامة: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾، وبذلك يكتمل محور المبدأ والمعاد، الّذي يُعتبر أساس كلّ إصلاح أخلاقيّ واجتماعيّ في وجود الإنسان.

تعبير (مَالك) يوحي بسيطرة اللّه التامّة وهيمنته المستحكمة على كلّ شيء وعلى كلّ فرد في ذلك اليوم، حيث تحضر البشريّة في تلك المحكمة الكبرى، وتقف أمام مالكها الحقيقيّ للحساب، وترى كلّ ما فعلته وقالته، بل وحتّى ما فكّرت به، حاضراً..

الإيمان بيوم القيامة، وبتلك المحكمة الإلهيّة الكبرى الّتي يخضع فيها كلّ شيء للإحصاء الدقيق، له الأثر الكبير في ضبط الإنسان أمام الزلّات، ووقايته من السقوط في المنحدرات. وأحد أسباب قدرة الصلاة على النهي عن الفحشاء والمنكر هو أنّها تُذكِّر الإنسان بالمُبدئ المطّلع على حركاته وسكناته، وتُذكّره أيضاً بمحكمة العدل الإلهيّ الكبرى.

التركيز على مالكيّة اللّه ليوم القيامة يُقارع من جهة أُخرى معتقدات المشركين ومنكري المعاد، لأنّ الإيمان باللّه عقيدة فطريّة عامّة، حتّى لدى

مشـركي العصـر الجاهليّ، وهذا ما يُوضّـحه القرآن إذ يقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1] بينمـا الإيمـان بالمعاد ليـس كذلك، فهؤلاء المشركون كانوا يواجهون مسألة المعاد بعناد واستهزاء ولجاج: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾[2].

وروي عن الإمام عليّ بن الحسـين السـجّاد عليه السلام: «**أنّه كانَ إذا قَرَأَ** ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ **يُكَرِّرُهَا حَتَّى يَكَادَ أَنْ يَمُوتَ**»[3].

أمّا تعبير «**يَوْم الدِّين**»، فحيثما ورد في القرآن يعني يوم القيامة، وتكرّر ذلك في أكثر من عشـرة مواضـع من كتاب اللّه العزيز، وفي الآيات ١٧ و ١٨ و ١٩ من سورة الانفطار ورد هذا المعنى بصراحة.

وأمّا سـبب تسـمية هذا اليوم بيـوم الدِّين، فلأنّ يوم القيامـة يوم الجزاء، و «**الدِّيـن**» فـي اللغة «**الجـزاء**»، والجزاء أبـرز مظاهر القيامة، ففـي ذلك اليوم تُكشَـف السـرائر ويُحاسـب النّاس عمّا فعلوه بدقّة، ويرى كلّ فرد جزاء ما عمله صالحاً أم طالحاً.

وفي حديث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول: «**يَوْمُ الدِّينِ هُوَ يَوْمُ الْحِسَابِ**»[4] «**والدِّين**» إستناداً إلى هذه الرواية يعني «**الحساب**».



(١) سورة الزمر، الآية: ٣٨.
(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٧-٨.
(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٦، ص١٥٢.
(٤) الأمثل، مكارم الشيرازي، ج١، ص٤٨.

٢ - إيّاك نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

في هذه الآية يتغيّر لحن السّورة، إذ يبدأ فيها دعاء العبد لربّه والتضرّع إليه. الآيات السابقة دارت حول حمد اللّه والثناء عليه، والإقرار بالإيمان والاعتراف بيوم القيامة. وفي هذه الآية يشعر الإنسان ـ بعد رسوخ أساس العقيدة ومعرفة اللّه في نفسه ـ بحضوره بين يدي اللّه... يُخاطبه ويُناجيه، ويُقرّ أوّلاً بتعبّده، ثمّ يستمدّ العون منه وحده دون سواه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

بعبارة أُخرى: عندما تتعمّق مفاهيم الآيات السابقة في وجود الإنسان، وتتنوّر روحه بنور ربّ العالمين، ويُدرك رحمة اللّه العامّة والخاصّة، ومالكيّته ليوم الجزاء، يكتمل الإنسان في جانبه العقائديّ. وهذه العقيدة التوحيديّة العميقة، ذات عطاء يتمثّل.

أوّلاً: في تربية الإنسان العبد الخالص للّه، المتحرّر من العبوديّة للآلهة الخشبيّة والبشريّة والشهويّة.

ثانياً: في الاستمداد من ذات اللّه تبارك وتعالى خاصّة دون غيره.

الآيات السابقة تحدّثت في الحقيقة عن توحيد الذّات والصِّفات، وهذه الآية تتحدّث عن توحيد العبادة وتوحيد الأفعال.

وقد ذكرنا في درس سابق معنى هذا التوحيد الّذي يعني أنّ اللّه هو المؤثّر الحقيقيّ في العالم (لَا مُؤَثِّرَ فِي الْوُجُودِ إلاَّ اللّه). وهذا لا يعني إنكار عالم الأسباب، وتجاهل المسبّبات، بل يعني الإيمان بأنّ تأثير الأسباب إنّما كان بأمر اللّه، فاللّه سبحانه هو الّذي يمنح النار خاصّيّة الإحراق، والشمس خاصّيّة الإنارة، والماء خاصّيّة الإحياء.

ثمرة هذا الاعتقاد أنّ الإنسان يُصبح معتمداً على (اللّه) دون سواه، ويرى أنّ اللّه هو القادر العظيم فقط، ويرى ما سواه شبحاً لا حول له ولا قوّة بل لا

يرى شيئاً غير الله، وهو وحده سبحانه اللائق بالاتّكال والاعتماد عليه في كلّ الأمور.

وبالتّالي هو الواحد الّذي يستحقّ العبادة فلا معبود سواه.

٣- اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

بعد أن يُقرّ الإنسان بالتسليم لربّ العالمين، ويرتفع إلى مستوى العبوديّة للّه والاستعانة به تعالى، يتقدّم هذا العبد بأوّل طلب من بارئه، وهو الهداية إلى الطريق المستقيم، طريق الطّهر والخير، طريق العدل والإحسان، طريق الإيمان والعمل الصالح، ليهبه اللّه نعمة الهداية كما وهبه جميع النِّعَم الأخرى.

الإنسان في هذه المرحلة مؤمن طبعاً وعارف بربّه، لكنّه معرّض دوماً بسبب العوامل المضادّة إلى سلب هذه النعمة والانحراف عن الصراط المستقيم. من هنا كان عليه لزاماً أن يُكرِّر عشر مرّات في اليوم على الأقلّ طلبه من اللّه أن يقيه العثرات والانحرافات.

أضف إلى ما تقدّم أنّ الصراط المستقيم هو دين اللّه، وله مراتب ودرجات لا يستوي في طيّها جميع النّاس، ومهما سما الإنسان في مراتبه، فثمّة مراتب أُخرى أبعد وأرقى، والإنسان المؤمن توّاق دوماً إلى السير الحثيث على هذا السلّم الارتقائيّ، وعليه أن يستمدّ العون من اللّه في ذلك.

عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، في تفسير ﴿ اَهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: أي: «**أَدِمْ لَنَا تَوْفِيقَكَ الَّذي أَطَعْنَاكَ بِهِ فِي مَا مَضى مِنْ أيَّامِنَا، حَتَّى نُطِيعَكَ فِي مُسْتَقْبَلِ أَعْمَارِنَا**»[1].

وقال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «**يَعْنِي أَرْشِدْنَا لِلُزُومِ الطَّرِيقِ**

(١) معاني الأخبار، الصدوق، ص٣٣.

الْمُؤدّي إلى مَحبّتك، وَالْمُبلغ إلى جنّتك، وَالْمانع من أنْ نتّبعَ أهْواءَنا فنَعْطب، أو أنْ نَأْخُذَ بآرائنا فنَهْلك»[1].

٤- صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ

خطّان منحرفان!

هذه الآية تفسير واضح للصراط المستقيم المذكور في الآية السابقة، إنّه صراط المشمولين بأنواع النِّعم (مثل نعمة الهداية، ونعمة التوفيق، ونعمة القيادة الصالحة، ونعمة العلم والعمل والجهاد والشهادة) لا المشمولين بالغضب الإلهيّ بسبب سوء فعالهم وزيغ قلوبهم، ولا الضائعين التائهين عن جادّة الحقّ والهدى.

ولأنّنا لسنا على معرفة تامّة بمعالم طريق الهداية، فإنّ اللّه تعالى يأمرنا في هذه الآية الكريمة أن نطلب منه هدايتنا إلى طريق الأنبياء والصالحين من عباده: (الَّذينَ أَنْعَمَت عَلَيهِمْ)، ويُحذِّرنا كذلك من أنّ أمامنا طريقين منحرفين، وهما طريق (الْمَغْضُوبِ عَلَيهِمْ)، وطريق (الضّالّينَ)، وبذلك يتبيّن للإنسان طريق الهداية بوضوح.

١ ـ من هم (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)؟

تُبيّن الآية الكريمة من سورة النساء من هم الّذين أنعم اللّه عليهم،إذ يقول تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[2].

والآية تُقسِّم الّذين أنعم اللّه عليهم إلى أربعة مجاميع: الأنبياء، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين.

---

(١) م.ن، ص٣٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

٢ ـ من هم (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)، ومن هم (الضَّالِّينَ)؟

يتّضح من الآية الكريمة أنّ (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) و (الضّالِّينَ) مجموعتان لا مجموعة واحدة، وأمّا الفرق بينهما:

فإنّه يُستفاد من استعمال التعبيرين في القرآن أنّ «المغضوب عليهم» أسوأ وأحطّ من «الضّالّين»، أي إنّ الضّالين هم التائهون العاديّون، والمغضوب عليهم هم المنحرفون المعاندون، أو المنافقون، ولذلك استحقّوا لعن اللّه وغضبه.

قال تعالى: ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾[٢].

(الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) إذاً يسلكون ـ إضافة إلى كفرهم ـ طريق اللّجاج والعناد ومعاداة الحقّ، ولا يألون جهداً في توجيه ألوان التنكيل والتعذيب لقادة الدعوة الإلهيّة.

يقول سبحانه: ﴿وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[٣].



(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.



خلاصة

في هذه السورة المباركة يكون الإنسان بين يدي الله، فهو مالك يوم الدِّين أي يوم الحساب، يُخاطبه ويُناجيه، يتحدّث إليه أوّلاً عن تعبّده، ثمّ يستمدّ العون منه وحده دون سواه قائلاً: «إيّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ». ويسأله الهداية: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ؛ أي طريق الطّهر والخير، طريق العدل والإحسان، طريق الإيمان والعمل الصالح، الّذي هو طريق الأنبياء والصالحين من عباده لا طريق المغضوب عليهم والضالّين.



للمطالعة

من اسرار القرآن

من الأسرار الّتي أشار إليها القرآن الكريم كرويّة الأرض، قال تعالى:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾[1].

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾[2]. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾[3].

ففي هذه الآيات الكريمة دلالة على تعدّد مطالع الشمس ومغاربها، وفيها إشارة إلى كرويّة الأرض، فإنّ طلوع الشمس على أيّ جزء من أجزاء الكرة الأرضيّة يُلازم غروبها عن جزء آخر، فيكون تعدّد المشارق والمغارب واضحاً لا تكلّف فيه ولا تعسّف. وقد حمل القرطبيّ وغيره المشارق والمغارب على مطالع الشمس ومغاربها باختلاف أيّام السنة، لكنّه تكلّف لا ينبغي أن يُصار إليه، لأنّ الشمس

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.
(٢) سورة الصافات، الآية: ٥.
(٣) سورة المعارج، الآية: ٤٠.

لـم تكن لها مطالع معيّنـة ليقع الحلف بها، بل تختلف تلك باختلاف الأراضـي. فلا بدّ من أنْ يُراد بها المشارق والمغارب الّتي تتجدّد شيئاً فشيئاً باعتبار كرويّة الأرض وحركتها.

وفـي أخبار أئمّة الهدى من أهل البيت عليهم السلام وأدعيتهم وخطبهم ما يدلّ على كرويّة الأرض.

ومن ذلك ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«**صحبني رجل كان يُمسي بالمغرب ويغلس بالفجر، وكنت أنا أُصلّي المغرب إذا غربت الشمس، وأصلّي الفجر إذا استبان لي الفجر. فقال لي الرجل: ما يمنعك أن تصنع مثل ما أصنع؟ فإنّ الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنّا، وهي طالعة على قوم آخرين بعد. فقلت: إنّما علينا أن نُصلّي إذا وجبت الشمس عنّا وإذا طلع الفجر عندنا، وعلى أولئك أن يُصلّوا إذا غربت الشمس عنهم**»[1].

يستدلّ الرجل على مراده باختلاف المشرق والمغرب الناشئ عن استدارة الأرض، ويُقرّه الإمام عليه السلام على ذلك ولكن يُنبّهه على وظيفته الدينيّة.

ومثله قول الإمام عليه السلام في خبر آخر: «**إنّما عليك مشرقك ومغربك**»[2].

ومن ذلك ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند الصباح والمساء:

«**وجعل لكلّ واحد منهما حدّاً محدوداً، وأمداً ممدوداً، يولج كلّ واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد**»[3].

(١) الوسائل، ج ١، ص ٢٣٧، باب ١١٦، أنّ أوّل وقت المغرب غروب الشمس.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٢١.
(٣) الصحيفة السجّادية الكاملة.



الدرس السادس عشر

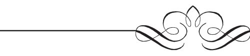
تفسير سورة الضحى



أهداف الدرس

١. أن يطّلع الطالب على محتوى السورة وسبب نزولها.

٢. أن يتبيّن بعضاً من معاني آياتها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ *

١ - في رحاب السّورة

هذه السّورة نزلت في مكّة. وحسب بعض الرّوايات أنّها نزلت حين كان الرّسول ﷺ متألّماً بسبب تأخّر نزول الوحي، وتقوُّل الأعداء نتيجة هذا الانقطاع المؤقّت، نزلت السّورة كغيث على قلب النّبيّ ﷺ، وأمدّته بطاقة جديدة، وقطعت ألسن الأعداء.

هذه السّورة تبدأ بقَسَمَين، ثمّ تُبشّر النّبيّ بأنّ الله لا يتركه أبداً.

ثمّ تُبشّره بعطاء ربّانيّ يجعله راضياً، ثمّ تعرض له صوراً من حياته السابقة تتجسّد فيها الرحمة الإلهيّة الّتي كانت تشمله دائماً وتحميه وتسنده في أشدّ اللحظات.

وفي نهاية السّورة تتكرّر الأوامر الإلهيّة برعاية اليتيم والسائل، وبإظهار النِّعم الإلهيّة (شكراً لهذه النِّعم).

٢- سبب النّزول

رويَ عن ابن عبّاس قال: «**احتبس الوحي عن رسول الله ﷺ خمسة عشر يوماً، فقال المشركون إنّ محمّداً قد ودّعه ربّه وقلاه، ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه، فنزلت السّورة**»[١].

٣- التّفسير

في بداية السّورة المباركة قسَمان: الأوّل بالنّور، والثّاني بالظلمة، ويقول سبحانه:

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ وهو أوّل النهار حين تغمر شمسه كلّ مكان.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي إذا عمّت سكينته كلّ مكان.

وبين القَسَمين ومحتوى السّورة تشابه كبير وارتباط وثيق. النهار مثل نزول نور الوحي على قلب النّبيّ ﷺ، والليل كانقطاع الوحي المؤقّت، وهو أيضاً ضروريّ في بعض المقاطع الزمنيّة.

وبعد القَسَمين، يأتي جواب القَسَم، فيقول سبحانه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

«**قلى**» من «**قلا**» - على وزن صدا، وهو شدّة البغض، ومن القَلو أيضاً بمعنى الرّمي. وكلا المعنيين يعودان إلى أصل واحد فكأنّ المقلوّ هو الّذي يقذفه القلب من بُغضه فلا يَقبلَه.

على أيّ حال، في هذا التعبير سَكَنٌ لقلب النّبيّ ﷺ وتسلٍّ له، ليعلم أنّ التأخير في نزول الوحي إنّما يحدث لمصلحة يعلمها الله تعالى، وليست - كما يقول الأعداء - لترك الله نبيّه أو لسخطه عليه. فهو مشمولٌ دائماً بلطف الله وعنايته الخاصّة، وهو دائماً في كنف حماية الله سبحانه.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص١٣٦.

أنت في هذه الدنيا مشمول بألطاف اللّه تعالى، وفي الآخرة أكثر وأفضل. أنت آمن من غضب اللّه في الأمد القريب والبعيد. وباختصار أنت عزيز في الدنيا والآخرة... في الدنيا عزيز وفي الآخرة أعزّ...

وتأتي البشرى للنبيّ الكريم لتقول له:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾، وهذا أعظم إكرام وأسمى احترام من ربّ العالمين لعبده المصطفى محمّد ﷺ. فالعطاء الرّبانيّ سيُغدق عليه حتّى يرضى... حتّى ينتصر على الأعداء ويعمّ نور الإسلام الخافقين، كما أنّه سيكون في الآخرة أيضاً مشمولاً بأعظم الهبات الإلهيّة.

٤- فلسفة انقطاع الوحي:

يتبيّن من الآيات الكريمة في هذه السّورة أنّ النّبيّ ﷺ لا يملك لنفسه شيئاً إلاّ من عند اللّه... لم يكن له اختيار حتّى في نزول الوحي. متى ما شاء اللّه ينزل الوحي ومتى ما شاء ينقطع. ولعلّ انقطاع الوحي كان ردّاً على أُولئك الّذين كانوا يُطالبون النبيّ بمعاجز مقترحة وفق أذواقهم، أو كانوا يقترحون عليه تغيير بعض الأحكام والنصوص، وكان ﷺ يقول لهم: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ...﴾[1].

٥- الشكر على كلّ هذه النِّعم الإلهيّة:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

ذكرنا أنّ هدف هذه السّورة المباركة تسلية قلب النّبيّ ﷺ وبيان ألطاف اللّه الّتي شملته. وهذه الآيات المذكورة أعلاه تُجسّد للنّبي ثلاث هبات من الهبات

(١) سورة يونس، الآية: ١٥.

الخاصّة الّتي أنعم اللّه بها على النّبيّ، ثمّ تأمره بثلاثة أوامر.

النعمة الأولى:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾

فقد كنت يا محمّد في رحم أُمّك حين توفّي والدك فآويتك إلى كنف جدّك عبد المطّلب «**سيّد مكّة**».

وكنت في السادسة حين توفّيت والدتك، فزاد يتمك، لكنّني زدت حبّك في قلب «**عبد المطّلب**».

وكنت في الثامنة حين رحل جدّك «**عبد المطّلب**»، فسخّرت لك عمّك «**أبا طالب**».

النعمة الثّانية:

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾

نعم، لم تكن أيّها النّبيّ على علم بالنبوّة والرسالة، ونحن أنزلنا هذا النور على قلبك لتهدي به الإنسانيّة. وهذا المعنى ورد في قوله تعالى أيضاً: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

من الواضح أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان فاقداً لهذا الفيض الإلهيّ قبل وصوله إلى مقام النبوّة، فاللّه سبحانه أخذ بيده وهداه وبلغ به هذا المقام. وإلى هذا تُشير الآية (٣) من سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

من المؤكّد أنّه لولا الهداية الإلهيّة والإمداد الغيبيّ ما استطاع الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم أن

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

يهتدي المسير نحو الهدف المقصود.

من هنا فإنّ المقصود من الضلالة في كلمة «**ضالّاً**» في الآية ليس نفي الإيمان والتوحيد والطهر والتقوى عن النّبيّ، بل بقرينة الآيات الّتي أشرنا إليها تعني نفي العلم بأسرار النبوّة وبأحكام الإسلام، وتعني عدم معرفة هذه الحقائق، كما أكّد على ذلك كثير من المفسّرين. لكنّه ﷺ بعد البعثة اهتدى إلى هذه الأمور بعون اللّه تعالى.

النعمة الثالثة:

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ﴾

لقد جعلناك تستأثر باهتمام «**خديجة**» هذه المرأة المخلصة الوفيّة لتضع كلّ ثروتها تحت تصرّفك من أجل تحقيق أهدافك، وبعد ظهور الإسلام رزقك مغانم كثيرة في الحروب ساعدتك في تحقيق أهدافك الرساليّة الكبرى.

ثمّ في الآيات التالية ثلاثة أوامر تصدر إلى الرسول باعتبارها نتيجة الآيات السابقة. والخطاب وإن كان موجّهاً إلى الرسول ﷺ، لكنّه يشمل أيضاً كلّ المسلمين.

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾

«**تقهر**» من القهر أي الغلبة مع التحقير، وأيضاً تُستعمل في كلّ واحد من المعنيين، ومعنى التحقير هنا هو المناسب.

وهذا يدلّ على أنّ هناك مسألة أهمّ من الإطعام والإنفاق بشأن الأيتام، وهي اللطف بهم والعطف عليهم وإزالة إحساسهم بالنقص العاطفيّ، ولذا جاء في الحديث المعروف عن رسول اللّه ﷺ: «**من مسح يده على رأس يتيم ترحّماً**

له، كتب الله له بكلّ شعرة مرّت عليه يده حسنة»[1].

كأنّ الله يخاطب نبيّه قائلاً: لقد كُنت يتيماً أيضاً وعانيت من آلام اليتم، والآن عليك أن تهتمّ بالأيتام كلّ اهتمام وأن تروي روحهم الظمأى بحبّك وعطفك.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾

«**نَهَرَ**» بمعنى ردّ بخشونة.

وفي معنى «**السائل**» عدّة تفاسير.

الأوّل: أنّه المتّجه بالسؤال حول القضايا العلميّة والعقائديّة والدينيّة، والدليل على ذلك هو أنّ هذا الأمر تفريع على ما جاء في الآية السابقة: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾، فشكر هذه الهداية الإلهيّة يقتضي أن تسعى أيّها النّبيّ في هداية السائلين، وأن لا تطرد أيّ طالب للهداية عنك.

والتّفسير الآخر: هو الفقير في المال والمتاع، والأمر يكون عندئذ ببذل الجهد في هذا المجال، وبعدم ردّ هذا الفقير السائل يائساً.

والثّالث: أنّ المعنى يشمل الفقير علميّاً والفقير ماديّاً، والأمر بتلبية احتياجات السائل في المجالين. وهذا المعنى يتناسب مع الهداية الإلهيّة لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، ومع إغنائه بعد عيلولته.

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾

والحديث عن النعمة قد يكون باللسان، وبتعابير تنمّ عن غاية الشكر والامتنان، لا عن التفاخر والغرور. وقد تكون بالعمل عن طريق الإنفاق من هذه النعمة في سبيل الله، إنفاقاً يُبيّن مدى هذه النعمة. هذه هي خصلة الإنسان السخيّ الكريم... يشكر الله على النعمة، ويقرن الشكر بالعمل، خلافاً للسخفاء البخلاء الّذين لا يكفّون عن الشكوى والتأوّه، ولا يكشفون عن نعمة ولو حصلوا

(١) فقه الرضا، ابن بابويه، ص١٧٢.

على الدنيا وما فيها، وجوههم يعلوها سيماء الفقر، وكلامهم مفعم بالتذمّر والحسرة، وعملهم يكشف عن فقر!

بينما روي عن رسول اللّه ﷺ: «**إنّ اللّه تعالى إذا أنعم على عبد نعمة يُحبّ أن يرى أثر النعمة عليه**»[١].

من هنا يكون معنى الآية: بيّن ما أغدق اللّه عليك من نِعَم بالقول والعمل، شكراً على ما أغناك اللّه إذ كنت عائلاً.

بعض المفسّرين ذهب إلى أنّ النعمة في الآية هي النعمة المعنويّة ومنها النبوّة والقرآن، والأمر للنبيّ بالإبلاغ والتبيين، وهذا هوالمقصود من الحديث بالنعمة.

ويحتمل أيضاً أن يكون المعنى شاملاً للنعم الماديّة والمعنويّة، لذلك ورد عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قوله: «**حدّث بما أعطاك اللّه، وفضّلك، ورزقك، وأحسن إليك وهداك**»[٢].

وعن رسول اللّه ﷺ: «**من أُعطي خيراً فلم يُر عليه، سُمّي بغيض اللّه، معادياً لنعم اللّه**»[٣].

وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**إنّ اللّه جميل يُحبّ الجمال، ويُحبّ أن يرى أثر النعمة على عبده**»[٤].

(١) كنز العمّال، ج٦، ص٦٤١.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٠٧.
(٣) تفسير القرطبي، ج ١٠، ص ٧١٩٢، وقريب من هذا المعنى في الكافي، ج ٦، كتاب الزي والتجميل، حديث ٢.
(٤) فروع الكافي، ج٦، ص ٤٣٨.

خلاصة

القرآن يتحدّى

يتبيّن من الآيات الكريمة في هذه السّــورة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك لنفسـه شيئاً إلّا مـن عند اللّه، وكما تُجسِّـد للنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث هبات من الهبات الخاصّـة الّتي أنعم اللّه بها عليه:

الرعاية عند اليتم، والهدى بالوحي، والغنى بعد الفقر.

وتتضمّن هذه السـورة المباركة إشارة مضمونيّة إلى مسألة أهمّ من الإطعام والإنفـاق بشـأن الأيتـام، وهي اللطـف بهم والعطـف عليهم وإزالة إحساسـهم بالنقص العاطفيّ.

الإنسـان السـخيّ الكريم... يشـكر اللّه على النعمة، ويقرن الشـكر بالعمل، ويحدّث بها حديث الشكر لا حديث الغرور.



للمطالعة

القرآن يتحدّى

عن هشـام بن الحكم قال: اجتمع ابن أبي العوجاء، وأبو شـاكر الديصـانيّ الزنديق، وعبد الملك البصـريّ، وابن المقفّع، عند بيت اللّه الحرام، يستهزئون بالحـجّ ويطعنون بالقـرآن. فقال ابن أبـي العوجاء: تعالوا ننقض كلّ واحد منّا ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضـع، نجتمع فيه وقد نقضـنا القرآن كلّه، فإنّ في نقض القرآن إبطال نبوّة محمّد، وفي إبطال نبوّته إبطال الإسـلام، وإثبات ما نحن فيه، فاتّفقوا على ذلك وافترقوا. فلمّا كان من قابل اجتمعوا عند بيـت اللّه الحـرام، فقال ابن أبي العوجـاء: أما أنا فمفكّر منـذ افترقنا في هذه

الآية: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾[١] فما أقدر أن أضمّ إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتني هذه الآية عن التفكر في ما سواها.

فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[٢] ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال أبو شاكر: وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٣] لم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال ابن المقفّع: يا قوم إنّ هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤] لم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك، إذ مرّ بهم جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٥] فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصيّة محمّد إلّا إلى جعفر بن محمّد، والله ما رأيناه قطّ إلّا هبناه واقشعرّت جلودنا لهيبته، ثم تفرّقوا مقرّين بالعجز[٦].

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٠.
(٢) سورة الحجّ، الآية: ٧٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٤.
(٤) سورة هود، الآية: ٤٤.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٦) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ١٤٢ – ١٤٣.



الدرس السابع عشر

تفسير سورة البيّنة

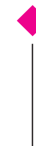


أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب بعضاً من مفاهيم السورة المباركة.

٢. أن يتعرّف إلى خير البريّة وشرّها.





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ * رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ * فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ * وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ * وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ * جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ *

١ - في رحاب السورة

المشهور أنّ هذه السّورة نزلت في المدينة، ومحتواها يؤيّد ذلك، إذ تحدّثت في مواضع متعدّدة عن أهل الكتاب. وغالباً ما واجه المسلمون أهلَ الكتاب في المدينة.

أضف إلى ذلك أنّ السّورة تحدّثت عن الصلاة والزكاة، والزكاة - مع أنّها شُرّعت في مكّة - اتّخذت طابعها الرسميّ الواسع في المدينة.

هذه السّورة تناولت رسالة رسول الله ﷺ وما فيها من دلائل بيّنة. هذه

الرســالة الّتي كان أهل الكتاب ينتظرونها، لكن حين ظهرت، أعرض عنها فريقٌ منهم لما وجدوا فيها من خطر على مصالحهم الشخصيّة.

والسّــورة تُقرِّر حقيقة وجود الإيمان باللّه والتوحيد والصلاة والصيام في كلّ الأديان ودعوات الأنبياء عليهم السلام باعتبارها أُصولاً ثابتة خالدة.

وفــي مقطع آخر من السّــورة بيان عن مواقف أهل الكتاب والمشــركين تجاه الإســلام... بعضــهم آمن وعمل صــالحاً فهو خيــر المخلوقات، وبعضــهم كفر وأشرك فهو شرّ البريّة.

ذلك دين القيّمة:

في بداية السّورة ذكر لأهل الكتاب (اليهود والنصارى) ومشركي العرب قبل ظهور الإسلام، فهؤلاء كانوا يدّعون أنّهم غير منفكّين عن دينهم إلاّ بدليل واضح قاطع.

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

و«البيّنــة» الّتــي أرادوها: رســول مــن اللّه يتلو عليهــم كتاباً مطهّــراً من ربّ العالمين:

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾.

وهذه الصحف فيها من الكتابة ما هو صحيح وثابت وذو قيمة.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

كان هذا ادّعاؤهم قبل ظهور الإســلام، وحينما ظهر ونزلت آياته تغيّر هؤلاء، واختلفوا وتفرّقوا! وما تفرّقوا إلاّ بعد أن جاءهم الدليل الواضــح والنبيّ الصادح بالحقّ.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

فالآيات الأُولى لهذه السّورة المباركة تتحدّث عن أهل الكتاب والمشركين الّذين

كانوا يدّعون أنّهم سوف يقبلون الدعوة إنّ جاءهم نبيٌّ بالدلائل الساطعة.

لكنّهم أعرضوا حين ظهر، وجابهوه، إلاّ فريق منهم آمن واهتدى.

وهذا المعنى يشبه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

نعلم أنّ أهل الكتاب كانوا ينتظرون مثل هذا الظهور، ولا بدّ أن يكون مشركو العرب مشاركين لأهل الكتاب في هذا الانتظار لما كانوا يرون فيهم من علم ومعرفة، ولكن حين تحقّقت آمالهم غيّروا مسيرهم والتحقوا باعداء الدعوة.

ثمّة تفسير آخر للآية هو أنّ الله لا يترك أهل الكتاب والمشركين لحالهم حتّى يُتمّ الحجّة عليهم ويُرسل إليهم البيّنة ويُبيّن لهم الطريق. ولذلك أرسل إليهم نبيّ الإسلام لهدايتهم.

بناء على هذا التّفسير، هذه الآية تُشير إلى قاعدة اللطف الّتي يتناولها علم الكلام وتُقرّر أن يبعث الله إلى كلّ قوم دلائل واضحة ليتمّ الحجّة عليهم.

على أيّ حال، «**البيّنة**» في الآية هي الدليل الواضح، ومصداقها حسب الآية الثّانية شخص «**رسول الله**» وهو يتلو عليهم القرآن.

«**صحف**» جمع «**صحيفة**»، وتعني ما يُكتب عليه من الورق، والمقصود بها هنا محتوى هذه الأوراق، إذ نعلم أنّ الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يتلو شيئاً عليهم من الأوراق.

و«**مطهّرة**» أي طاهرة من كلّ ألوان الشرك والكذب والباطل، ومن تلاعب شياطين الجنّ والإنس، كما جاء أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾[2].

جملة (فيها كتب قيّمة) إشارة إلى أنّ ما في هذه الصحف السماويّة خالٍ

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٢) سورة فصّلت، الآية: ٤٢.

مـن الانحراف والاعوجـاج. من هنا فإنّ هذه «**الكتـب**» تعني المكتوبات، أو تعني الأحكام والتشريعات المنصوصة من الله، لأنّ الكتابة جاءت بمعنى تعيين الحكم أيضاً، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[1].

وبهذا يكون معنى «**قيّمة**» سويّة ومستقيمة، أو ثابتة ومستحكمة، أو ذات قيمة، أو كلّ هذه المعاني مجتمعة.

ويُحتمـل أيضـاً أن يكون المعنـى هو أنّ القـرآن فيه الكتب السـماويّة القيّمة السابقة لأنّه يضمّ جميع محتوياتها وزيادة.

ويلفـت النظـر تقـدّم ذكـر أهل الكتـاب على المشـركين فـي الآيـة الأولى، والاقتصـار على ذكر أهل الكتـاب في الآية الرابعة دون ذكر المشـركين، بينما الآية تُريد الاثنين.

وهذا يعود ظاهراً إلى أنّ أهل الكتاب كانوا هم الروّاد في هذه المواقف، وكان المشـركون تابعين لهم، أو لأنّ أهل الكتاب كانوا أهلاً للذمّ أكثر لما عندهم من علماء كثيرين، وبذلك كانوا ذوي مسـتوى أرفع من المشركين. فمعارضتهم ـ إذاً ـ أفظع وأبشع وتستحقّ مزيداً من التقريع.

ثـمّ يتوالى التقريـع لأهل الكتاب، ومن بعدهم للمشـركين، لأنّهم اختلفوا في الدِّيـن الجديد، منهم مؤمن ومنهم كافر، بينمـا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

ثمّ تُضيف الآية القول:

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾.

المقصـود هو أنّ دين الإسـلام ليس فيه سـوى التوحيد الخالص والصـلاة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

والزكاة وأمثالها من التعاليم. وهذه أُمورٌ معروفة فلماذا يُعرضون عنها؟.

وقوله تعالى: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ أي بمجموع الدِّين والشريعة، أي أنّهم أُمروا أن يعبدوا الله وأن يُخلصوا له الدِّين والتشريع في جميع المجالات، فجملة ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ تؤيّد هذا المعنى لأنّها طرحت الدِّين بمفهومه الواسع.

«**حنفاء**» جمع «**حنيف**»، من الفعل الثّلاثي حَنَفَ، أي عدل عن الضلال إلى الطريق المستقيم. جملة ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ إشارة إلى أنّ الأُصول المذكورة في الآية وهي: التوحيد الخالص، والصلاة «**الارتباط بالله**» والزكاة «**الارتباط بالنّاس**» من الأُصول الثابتة الخالدة في جميع الأديان، بل إنّها قائمة في أعماق فطرة الإنسان. ذلك لأنّ مصير الإنسان يرتبط بالتوحيد، وفطرته تدعوه إلى معرفة المنعم وشكره، ثمّ إنّ الروح الإجتماعيّة المدنيّة للإنسان تدعوه إلى مساعدة المحرومين.

من هنا، هذه التعاليم لها جذور في أعماق الفطرة، وهي لذلك كانت في تعاليم كلّ الأنبياء السابقين وتعاليم خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- خير البريّة وشرّها:

الآيات السابقة تحدّثت عن انتظار أهل الكتاب والمشركين لبيّنة تأتيهم من الله، لكنّهم تفرّقوا من بعد ما جاءتهم البيّنة.

هذه الآيات تذكر مجموعتين من النّاس مختلفتين في موقفهما من الدعوة «**كافرة**» و«**مؤمنة**». تذكر الكافرين أوّلاً بالقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

وإنّما قال «**كفروا**» لكفرهم بالدِّين المبين، وإلّا فإنّ كفرهم ليس بجديد.

وعبارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ عبارة قارعة مثيرة، تعني أنّه لا يوجد بين الأحياء

وغير الأحياء موجود أضلّ وأسوأ من الّذين تركوا الطريق المستقيم بعد وضوح الحقّ وإتمام الحجّة، وساروا في طريق الضلال، مثل هذا المعنى ورد أيضاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]، وفي قوله سبحانه يصف أهل النّار: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[2].

وهذه الآية الّتي نحن بصددها تذهب في وصف هؤلاء المعاندين إلى أبعد ممّا يذهب إليه غيرها، لأنّها تصفهم بأنّهم شرّ المخلوقات، وهذا بمثابة بيان الدليل على خلودهم في نار جهنّم.

ولِمَ لا يكونون شرّ المخلوقات وقد فُتحت أمامهم جميع أبواب السعادة فأعرضوا عنها كبراً وغروراً وعناداً؟

الآية التالية تذكر المجموعة الثّانية، وهم المؤمنون وتقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

ثمّ ذكرت السورة جزاء هؤلاء المؤمنين، وما لهم عند اللّه من مثوبة:

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾.

يُلاحظ أنّ الحديث عن المؤمنين مقرون بذكر الأعمال الصالحة، باعتبارها ثمرة دوحة الإيمان. وفي ذلك إشارة إلى أن ادّعاء الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بدّ أن تشهد عليه الأعمال الصالحة. لكنّ الكفر وحده ـ وإن لم يقترن بالأعمال السيّئة ـ مبعث السقوط والشقاء. أضف إلى ذلك أنّ الكفر عادة منطلق لأنواع الذنوب والجرائم والانحرافات.

عبارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ تُبيّن بجلاء أنّ الإنسان المؤمن ذا الأعمال

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

الصالحة أفضل من الملائكة، فعبارة الآية مطلقة وليس فيها استثناء. والآيات الأُخرى تشهد على ذلك أيضاً، مثل آية سجود الملائكة لآدم، ومثل قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1].

هذه الآية تحدّثت عن الجزاء المادّيّ الّذي ينتظر المؤمنين، وعن الجزاء المعنويّ الروحيّ لهم، وهو رضا اللّه عنهم ورضاهم عنه.

إنّهم راضون عن اللّه لأنّ اللّه أعطاهم ما أرادوه، واللّه راض عنهم لأنّهم أدّوا ما أراده منهم، وإن كانت هناك زلّة فقد غفرها بلطفه وكرمه. وأيّة لذّة أعظم من أن يشعر الإنسان بأنّه نال رضا المحبوب ووصاله ولقاءه؟

نعم، نعيم جسد الإنسان جنّات الخلد، ونعيم روحه رضى اللّه ولقاؤه.

جملة ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ تدلّ على أنّ كلّ هذه البركات تنطلق من «خشية اللّه»، لأنّ هذه الخشية دافع للحركة صوب كلّ طاعة وتقوى وعمل صالح.

٣-عليّ عليه السلام وشيعته خير البريّة

ثمّة روايات كثيرة من طرق أهل السنّة في مصادرهم الحديثيّة المعروفة، وهكذا في المصادر الشيعيّة، فسّرت الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ بأنهم عليّ وشيعته.

فـ «**الحاكم الحسكانيّ النيسابوريّ**» عالم أهل السنّة المعروف في القرن الخامس الهجريّ نقل هذه الرّوايات في كتابه المشهور «**شواهد التنزيل**» بطرق مختلفة، ويزيد عدد هذه الرّوايات على العشرين نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ عن ابن عبّاس قال: عندما نزلت آية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

﴿هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ قال رسـول الله لعليّ: «**هو أنت وشـيعتك تأتي أنت وشـيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين ويأتي عدوّك غضباناً «مقمحين»**»[1].

٢ ـ وعـن جابـر بن عبد الله الأنصـاريّ قال: كنّا جالسـين عنـد النبيّ جوار الكعبة، فأقدم علينا عليّ، وحين رآه النبيّ قال: «**قد أتاكم أخي**»، ثمّ التفت إلـى الكعبـة، وقال: «**وربّ هذه البيّنة، إنّ هذا وشـيعته هـم الفائزون يوم القيامة**».

ثـمّ التفـت إلينا وقال: «**أما والله إنّـه أوّلكم إيماناً بـالله، وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهـد الله، وأقضـاكم بحكـم الله، وأقسـمكم بالسـويّة، وأعدلكـم في الرعيّة وأعظمكم عند الله مزيّة**»

قال جابر: فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ فكان عليّ إذا أقبل قال أصحاب محمّد: قد أتاكم خير البريّة بعد رسول الله[2].

بعض هذه الأحاديث رواه ابن حجر في الصـواعق، ومحمّد الشبلنجيّ في نور الأبصار.

وجـلال الدِّين السـيوطيّ نقل القسـم الأعظم مـن الرّواية الأخيـرة عن ابن عساكر عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

٣ـ فـي «**الدرّ المنثـور**» عن ابن عبّاس قال: «**حين نزلت آية**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾، **قال رسول الله لعليّ**: «**هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين**».

باختصـار هذا الحديث من الأحاديث المعروفة المشهورة المقبولة لدى أكثر علماء الإسلام، وفيه بيان لفضيلة كبرى من فضائل عليّ وأتباعه.

(١) شواهد التنزيل، ج٢، ص٣٥٧، الحديث ١١٢٦.

(٢) م.ن. ص٣٥٩، الحديث ١١٣٠.

وهـذه الرّوايات تدلّ ضـمناً علـى أنّ كلمة «**الشـيعة**» باعتبارها اسـماً لأتباع عليّ عَلَيْهِ السَّلَام كانت قد شـاعت منذ عهد رسـول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بين المسـلمين على لسان الرّسـول نفسـه. وأولئك الّذين يخالون أنّ الكلمة هذه ظهرت في عصور متأخّرة في خطأ كبير.

٤- منحنى الصعود والسقوط

مـن آيات هـذه السّـورة المباركة يُسـتفاد أنّ الإنسـان فريد بيـن مخلوقات الكون في البون الشاسـع الّذي يفصـل بين منحنى ارتفاعه وسموّه وبين منحنى سـقوطه وهبوطه. فإذا كان من الّذين آمنوا وعملوا الصالحات (عبارة «**عملوا الصـالحات**» تشـمل كلّ الأعمال الصالحة لا بعضـها) فهو أفضل خلق اللّه؛ وإن سلك طريق الكفر والضلالة والعناد هبط إلى هوّة سحيقة وكان شرّ خلق اللّه.

هذا البون الشاسع بين الاتّجاهين - رغم خطورته وحساسيّته - له دلالة كبيرة علـى مكانـة النوع البشـريّ وقابليّته للتكامـل. وطبيعيّ أن يكـون إلى جانب هذه القابلية العظيمة إمكان عظيم للهبوط والسقوط.



خلاصة

هذه السّورة تناولت رسالة رسول اللّه ﷺ وما فيها من دلائل بيّنة. والسّورة تُقرِّر حقيقة وجود الإيمان والتوحيد والصلاة والصيام في كلّ الأديان ودعوات الأنبياء باعتبارها أصولاً ثابتة.

الآيات الأولى لهذه السّورة المباركة تتحدّث عن أهل الكتاب والمشركين الّذين كانوا يدّعون أنّهم سوف يقبلون الدعوة إن جاءهم نبيٌّ بالدلائل الساطعة. لكنّهم أعرضوا حين ظهر، وجابهوه، إلّا فريقٌ منهم آمن واهتدى.

إنّ دين الإسلام ليس فيه سوى التوحيد الخالص والصلاة والزكاة وأمثالها من التعاليم. وذكر المؤمنين مقرون بذكر الأعمال الصالحة، باعتبارها ثمرة دوحة الإيمان.

نعيم جسد الإنسان جنّات الخلد، ونعيم روحه رضا اللّه ولقاؤه. وخير البريّة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وشيعته.



للمطالعة

القرآن والإخبار بالغيب

أخبر القرآن الكريم في عدّة من آياته عن أمور مهمّة، تتعلّق بما يأتي من الأنباء والحوادث. وقد كان في جميع ما أخبر به صادقاً، لم يُخالف الواقع في شيء منها. ولا شكّ في أنّ هذا من الإخبار بالغيب، ولا سبيل إليه غير طريق الوحي والنبوّة.

فمن الآيات الّتي أنبأت عن الغيب قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧.

وهــذه الآية نزلــت في وقعة بدر. وقد وعــد اللّه فيها المؤمنين بالنصــر على عدوّهم وبقطع دابر الكافرين. والمؤمنون على ما هم عليه من قلّة العدد والعدّة، حتّــى أنّ الفارس فيهم كان هو المقــداد، أو هو والزبير بن العوّام والكافرون هم الكثيرون الشديدون في القوّة. وقد وصفتهم الآية بأنّهم ذوو شوكة، وأنّ المؤمنين أشــفقوا من قتالهــم، ولكنّ اللّه يُريد أن يُحقّ الحــقّ بكلماته. وقد وفى للمؤمنين بوعده، ونصرهم على أعدائهم، وقطع دابر الكافرين.

ومنها قوله تعالى:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ * إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ * ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[١].

فإنّ هذه الآيات الكريمة نزلت بمكّة في بدء الدعوة الإسلاميّة. وقد أخرج البزّار والطبرانيّ في سبب نزولها عن أنس بن مالك: إنّها نزلت عند مرور النبيّ ﷺ على أناس بمكّة، فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون: «**هذا الذي يزعم أنّه نبيٌّ ومعه جبرئيل**»[٢]. فأخبرت الآية عن ظهور دعوة النبيّ ﷺ ونصرة اللّه له، وخذلانه للمشركين الّذين ناوأوه واستهزأوا بنبوّته، واستخفّوا بأمره. وكان هذا الإخبار في زمان لم يخطر فيه على بال أحد من الناس انحطاط قوّة قريش، وانكسار شوكة سلطانهم، وظهور النبيّ ﷺ عليهم.

ونظير هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[٣].

ومن هذه الأنباء قوله تعالى:

(١) سورة الحجر، الآيات: ٩٤-٩٦.

(٢) لباب النقول، جلال الدين السيوطيّ، ص١٣٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾[(١)].

وقد وقع ما أخبر به القرآن الكريم قبل أقلّ من عشر سنين، فغلب ملك الروم، ودخل جيشه مملكة الفرس.

ومنها قوله تعالى:

﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ * سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[(٢)].

فأخبر عن انهزام جمع الكفّار وتفرّقهم وقمع شوكتهم. وقد وقع هذا في يوم بدر أيضاً حين ضرب أبو جهل فرسه، وتقدّم نحو الصفّ الأوّل قائلاً: «**نحن ننتصر اليوم من محمّد وأصحابه**» فأباده اللّه وجمعه، وأنار الحقّ ورفع مناره، وأعلى كلمته، فانهزم الكافرون، وظفر المسلمون عليهم حينما لم يكن يتوهّم أحد بأنّ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً - ليس لهم عدّة، ولا يصحبون غير فرس أو فرسين وسبعين بعيراً يتعاقبون عليها - يظفرون بجمع كبير تامّ العدّة وافر العدد. وكيف يستفحل أمر أولئك النفر القليل على هذا العدد الكثير، حتّى تذهب شوكته كرماد اشتدّت به الريح، لولا أمر اللّه وإحكام النبوّة وصدق النيّات؟!.

ومنها قوله تعالى:

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ * مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ * سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾[(٣)].

وقد تضمّنت هذه السورة نبأ دخول أبي لهب، ودخول زوجته، النار. ومعنى ذلك هو الإخبار عن عدم تشرّفهما بقبول الإسلام إلى آخر حياتهما، وقد وقع ذلك[(٤)].

(١) سورة الروم، الآيتان: ٢- ٣.
(٢) سورة القمر، الآيتان: ٤٤- ٤٥.
(٣) سورة المسد، الآيات: ١- ٣- ٤.
(٤) البيان في تفسير القرآن، السيّد أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ٦٧ - ٧٠.



الدرس الثامن عشر

تفسير سورة الجمعة



أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب بعضاً من معاني ومفاهيم سورة الجمعة المباركة.

٢. أن يتعرّف إلى هدف البعثة النبويّة.

٣. أن يستعلم أهميّة صلاة الجمعة.









بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ
رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
* وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ * مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ
أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ * قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ
فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ
فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً
أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ *

١- في رحاب السورة:

تدور هذه السورة المباركة حول محورَين أساسيَّين:

الأوّل: هو التوحيد وصفات اللّه والهدف من بعثة الرسول ومسألة المعاد.

والمحور الثاني: هو الأثر التربويّ لصلاة الجمعة وبعض الخصوصيّات المتعلّقة بهذه العبادة العظيمة.

ولكن يُمكن أن نُجمل الأبحاث الّتي وردت في هذه السورة المباركة بالنقاط التالية:

١ - تسبيح كافّة المخلوقات.

٢ - الهدف التعليميّ والتربويّ من بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ - تحذير المؤمنين وتنبيههم من مغبّة الوقوع في الانحراف الّذي وقع فيه اليهود فابتعدوا عن جادّة الصواب والحقّ.

٤ - إشارة إلى قانون الموت العامّ والشامل الّذي يُمثِّل المعبر إلى عالم البقاء والخلود.

٥ - التأكيد على أداء فريضة صلاة الجمعة، وحثّ المؤمنين على تعطيل العمل والكسب من أجل المشاركة فيها.

٢- الهدف من بعثة الرسول:

تبدأ هذه السورة بالتسبيح للّه عزّ وجلّ، وتُشير إلى بعض صفات الجمال والجلال والأسماء الحسنى للّه. ويُعتبر ذلك في الحقيقة مقدّمة للأبحاث القادمة، حيث يقول تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، حيث يُسبّحونه ويُنزّهونه عن جميع العيوب والنقائض، الملك القدّوس العزيز الحكيم.

وبناءً على ذلك تُشير الآية أوّلاً إلى «**المالكيّة والحاكميّة المطلقة**» للّه

سبحانه، ثمّ «**تُنزّهه من أيّ نوع من الظلم والنقص**» وذلك لارتباط اسم الملوك بأنواع المظالم والمآسي، فجاءت كلمة «**قدّوس**» لتنفي كلّ ذلك عنه جلّ شأنه.

وبعد هذه الإشارة الخاطفة ذات المعنى العظيم لمسألة التوحيد وصفات الله، يتحدّث القرآن عن بعثة الرسول والهدف من هذه الرسالة العظيمة المرتبطة بالعزيز الحكيم القدّوس، حيث يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وذلك من أجل أن يطهّرهم من كلّ أشكال الشرك والكفر والانحراف والفساد ويُزكّيهم ويُعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

«**الأميّين**» جمع (أُمّيّ) وهو الّذي لا يعرف القراءة والكتابة (نسبته إلى الأمّ باعتبار أنّه لم يتلقّ تعليماً في معهد أو مدرسة فهو بقي على ما ولدته أمّه).

والجدير بالذكر أنّ الآية تؤكّد أن نبيّ الإسلام بُعث من بين هؤلاء الأميّين الّذين لم يتلقّوا ثقافة وتعليماً وذلك لبيان عظمة الرسالة وذكر الدليل على حقّانيّتها، لأنّ من المحال أن يكون هذا القرآن العظيم وبذلك المحتوى العميق وليد فكر بشريّ وفي ذلك المحيط الجاهليّ ومن شخص أميّ أيضاً، بل هو نور أشرق في الظلمات، ودوحة خضراء في قلب الصحراء، وهي بحدّ ذاتها معجزة باهرة وسند قاطع على حقّانيّته...

ولخّصت الآية الهدف من بعثة الرسول ﷺ في ثلاثة أمور، جاء أحدها كمقدّمة وهو تلاوة الآيات عليهم، بينما شكّل الأمران الآخران أي (تهذيب وتزكية النفس) و (تعليمهم الكتاب والحكمة) الهدف النهائيّ الكبير.

ولكن لم يكن الرسول مبعوثاً لهذا المجتمع الأمّيّ فقط، بل كانت دعوته عامّة لجميع الناس، فقد جاء في الآية التالية ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾[1].

(١) سورة الجمعة، الآية: ٣.

وجاء في آخر الآية: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

بعـد أن يُشـير إلى هذه النعمة الكبيـرة - أي نعمة بعث نبيّ الإسـلام الأكرم وبرنامجـه التعليميّ والتربويّ - يُضـيف قائـلاً: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

٣- الحمار الّذي يحمل الأسفار:

جاء في بعض الروايات أنّ اليهود قالوا: (إذا كان محمّد قد بُعث برسالة فإنّ رسـالته لا تشـملنا) فردّت عليهم الآية مورد البحث في أوّل بيان لها بأنّ رسالته قد أُشير إليها في كتابكم السماويّ لو أنّكم قرأتموه وعملتم به.

يقـول تعالـى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾، أي نزلـت عليهم التوراة وكُلّفوا بالعمل بها ولكنّهم لم يؤدّوا حقّها ولم يعملوا بآياتها فمثلهم ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾.

لا يشـعر هذا الحيـوان بمّا يحمل من كتـب إلّا بثقلها، ولا يُميّـز بين أن يكون المحمول على ظهره خشباً أو حجراً أو كتباً فيها أدقّ أسرار الخلق وأحسن منهج في الحياة.

لقد اقتنع هؤلاء القوم بتلاوة التوراة واكتفوا بذلك دون أن يعملوا بموجبها.

هؤلاء مثلهم كمثل الحمار الّذي يُضرب به المثل في الغباء والحماقة.

وذلك أوضح مثال يُمكن أن يكشف عن قيمة العلم وأهمّيّته.

ويُعتبر ذلك تحذيراً للمسلمين كافّة من أن ينتهوا إلى ما انتهى إليه اليهود، فقد شملتهم الرحمة الإلهيّة ونزل عليهم القرآن الكريم، لا لكي يضعوه على الرفوف يعلـوه الغبار، أو يحملوه كما تُحمل التعاويذ أو ما إلى ذلك. وقد لا يتعدّى اهتمام بعض المسلمين بالقرآن أكثر من تلاوته بصوت جميل في أغلب الأحيان.

٤- توصيف حال اليهود

ثمّ يقول تعالى:بئس مثل القوم الّذين كذّبوا بآيات اللّه، إذ لم يكتفوا بمخالفة القرآن عملاً، بل أنكروه بلسانهم أيضاً، حيث قالت الآية (٨٧) من سورة البقرة وهي تصف اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾.

ويقول تعالى في آخر الآية في عبارة وجيزة: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

صحيح أنّ الهداية شأن إلهيّ، ولكن ينبغي أن تُهيّأ لها الأرضيّة اللّازمة، وهي الروح التوّاقة لطلب الحقّ والبحث عنه، وهي أمورٌ يجب أن يُهيّئها الإنسان نفسه، ولا شكّ أنّ الظالمين يفتقدون مثل هذه الأرضيّة.

ومن المعروف أنّ اليهود اعتبروا أنفسهم أمّة مختارة، أو نسيجاً خاصّاً لا يُشبه غيره، وذهبوا إلى أبعد من ذلك حينما ادّعوا أنّهم أبناء اللّه وأحبّاؤه، وهذا ما أشارت إليه الآية (١٨) من سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ (رغم أنّهم يقصدون الأبناء المجازيّين).

ولكنّ القرآن شجب هذا التعالي مرّة أخرى بقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

فالأحبّاء يتمنّون اللقاء دائماً، ولا يتمّ اللّقاء المعنويّ باللّه يوم القيامة إلّا عندما تزول حجب عالم الدنيا وينقشع غبار الشهوات والهوى، وحينئذ سيرى الإنسان جمال المحبوب ويجلس على بساط قربه، ويكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ فيدخل إلى حرم الحبيب.

إنّ خوفكم وفراركم من الموت دليل قاطع على أنّكم متعلّقون بهذه الدنيا وغير صادقين في ادّعائكم.

ويوضِّــح القرآن الكريم هــذا المعنى بتعبير آخر في ســورة البقرة آية (٩٦) عندما يقول تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

ثمّ يُشــير القرآن إلى ســبب خوفهم من الموت بقوله: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

لأنّ خوف الإنسان من الموت ناشئ من عاملين أساسيّين:

الأوّل: عــدم إيمــان الإنســان بالحياة بعد المــوت واعتقــاده أنّ الموت زوال وفناء.

والثاني: أعماله السيّئة الّتي يعتقد أنّه سيواجهها بعد مماته في عالم الآخرة عندما تُقام المحكمة الإلهيّة.

وقد وصــفهم القرآن الكريم بالظالمين، وذلك لأنّ الظلم يتّسع ليشمل جميع الأعمال الســيّئة والجرائم الّتي ارتكبوها، من قتلهم الأنبياء وقول الزور وغصب الحقوق وتلوّثهم بمختلف المفاسد الأخلاقيّة.

غير أنّ هذا الخوف وذلك الفرار لا يُجدي شــيئاً، فالموت أمرٌ حتميّ لا بدّ أن يُدرك الجميــع، إذ يقول تعالــى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الموت قانون عامّ يخضع له الجميع بما فيهم الأنبياء والملائكة وجميع الناس، كلّ من عليها فانٍ ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام.

وكذلك المثول أمام محكمة العدل الإلهيّ لا يفلت منها أحد، إضــافة إلى علم الله تعالى بأعمال عباده بدقّة وبتفصيل كامل.

وبهذا ســوف لا يكون هناك طريقٌ للتخلّص من هذا الخوف ســوى تقوى الله

وتطهير النفس والقلب من المعاصي. وبعد أن يُخلص الإنسان لله تعالى فإنّه لن يخاف الموت حينئذ.

ويعبّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه المرحلة بقوله: «**هيهات بعد اللّتيّا والّتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه**»[١].

فإذا صدّقت النفس أنّ (الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر) وإذا أيقنت هذه النفس أنّ هذا البدن الترابيّ إنّما هو سجن للروح وسور يضرب الحصار عليها، إذا آمنت بذلك حقّاً وكانت نظرة الإنسان إلى الموت هكذا فإنّه سوف لن يخشى الموت أبداً.

لهذا نجد في قصّة عاشوراء أنّه كلّما ضاقت حلقة الأعداء وازداد ضغطهم على الإمام الحسين وأصحابه ازدادت وجوههم إشراقاً، حتّى أنّ الشيوخ من أصحابه كانت الابتسامة تطفو على وجوههم في صبيحة عاشوراء، وحينما كانوا يُسألون كانوا يقولون: إنّنا سنُستشهد بعد ساعات فنُعانق الحور العين[٢].

والسبب الآخر الّذي يجعل الإنسان يخاف من الموت هو التعلّق بالدنيا أكثر من اللازم، الأمر الّذي يجعله يرى الموت الشيء الّذي سيفصله عن محبوبه ومعشوقه الّذي هو الدنيا.

وكثرة السيّئات وقلّة الحسنات في صحيفة الأعمال هي السبب الثالث وراء الخوف من الموت، فقد جاء شخص وسأل (أبا ذرّ): ما لنا نكره الموت؟ فأجابه أبو ذرّ قائلاً: «**لأنّكم عمّرتم الدنيا وخرّبتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب**»[٣].

---

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٤١.

(٢) مقتل الحسين، المقرم، ص ٢٦٣.

(٣) المحجّة البيضاء، ج ٨، ص ٢٥٨.

أهمّيّة صلاة الجمعة

إنّ أفضل دليل على أهمّيّة هذه الفريضة العظيمة هو الآيات الأخيرة في هذه السورة المباركة، الّتي أمرت جميع المسلمين وأهل الإيمان بمجرّد سماعهم لأذان الجمعة أن يُسرعوا إليها ويتركوا الكسب والعمل، وكلّ ما من شأنه أن يُزاحم هذه الفريضة.

عن الرسول ﷺ: «**إنّ الله تعالى فرض عليكم الجمعة، فمن تركها في حياتي أو بعد موتي استخفافاً بها أو جحوداً لها، فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حجّ له، ألا ولا صوم له، ألا ولا برّ له، حتّى يتوب**»[(١)].

وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ: «**من أتى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل**»[(٢)]. أي غُفرت ذنوبه ويبدأ العمل من جديد.

وجاء في حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام: «**صلاة الجمعة فريضة والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فإن ترك رجل من غير علّة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض ولا يدع ثلاث فرائض من غير علّة إلّا منافق**»[(٣)].

والروايات كثيرة في هذا المجال ولا يتّسع المجال لذكرها جميعاً، لذا نحاول أن نُنهي هذا البحث بحديث آخر، حيث جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّي تهيّأت عدّة مرّات للحجّ ولكنّي لم أوفّق. قال ﷺ: «**عليك بالجمعة فإنّها حجّ المساكين**»[(٤)]. وفي ذلك إشارة إلى أنّ ما يتضمّنه هذا المؤتمر الإسلاميّ الكبير (أي الحجّ) من بركات، موجودة في اجتماع صلاة الجمعة.

ومن الملفت للنظر أنّه قد ورد ذمّ شديد لتارك صلاة الجمعة، حتّى عُدّ

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٧.
(٢) م.ن، ج٥، ص٣.
(٣) ثواب الأعمال، الصدوق، ص٢٣٣.
(٤) م.ن، ج٧، ص٣٠٠.

التاركون للجمعة في صـف المنافقين عندما تكون صـلاة الجمعـة واجباً عينيّاً (أي فـي زمن حضـور الإمام المعصـوم عليه السلام) وأمّا في زمن الغيبـة - وبناءاً علـى أنّهـا واجبة تخييراً بينها وبين صـلاة الظهر - فإنّه لا يكون مشـمولاً بهذا الذمّ والتقريع رغم عظمة وأهمّيتها في هذا الوقت أيضاً (للتوسّع في ذلك يجب الرجوع إلى الكتب الفقهيّة).

فلسفة صلاة الجمعة العباديّة والسياسيّة

إنّ صـلاة الجمعة - قبل كلّ شيء - عبادة جماعيّة ولها أثر العبادات عموماً، حيث تُطهّر الروح والقلب من الذنوب، وتُزيل صدأ المعاصي عن القلوب، خاصّةً وأنّها تكون دائماً مسبوقة بخطبتين تشتملان على أنواع المواعظ والحكم، والحثّ على التقوى وخوف اللّه.

أمّا من الناحية السياسـيّة والاجتماعيّة فهي أكبر مؤتمر أسبوعيّ عظيم بعد مؤتمـر الحجّ السـنويّ، لهذا نجد الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم يقول تلك الروايـة الّتي نقلناها سابقاً حول أنّ الجمعة حجّ من لا يملك القدرة على المشاركة في الحج.

ويُعطي الإسلام في الحقيقة أهميّة خاصّة لثلاثة مؤتمرات كبيرة:

التجمّعات الّتي تتمّ يوميّاً لصلاة الجماعة.

التجمّع الأسبوعيّ الأوسع في صلاة الجمعة.

ومؤتمر الحجّ الّذي يُعقد في كلِّ سنّة مرّة.

دور صلاة الجمعة

دور صلاة الجمعة مهمٌّ جدّاً خاصّة وأنّ الخطيب سيتحدّث في الخطبتين عن المسائل السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وبذلك سيكون هذا التجمّع العظيم والمهيب منشأً للبركات والنِّعم التالية:

أ - توعية الناس على المعارف الإسـلاميّة والأحداث السياسيّة والاجتماعيّة المهمّة.

ب - توثيق الاتّحاد والانسجام بين المسلمين أكثر لإخافة الأعداء.

ج - تجديد الروح الدينيّة ورفع معنويّات المسلمين.

د - إيجاد التعاون لحلّ المشكلات العامّة الّتي تواجه المسلمين.

ولهذا فإنّ أعداء الإسلام يخافون دائماً من صلاة الجمعة الجامعة للشرائط.

ولهذا ـ أيضاً - كانت صلاة الجمعة مصدر قوّة سياسيّة في أيدي حكومات العدل كحكومة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الّذي استثمرها أحسن استثمار لخدمة الإسلام، وكذلك كانت مصدر قوّة أيضاً لحكومات الجور كدولة بني أميّة الّذين استغلّوها لتحكيم قدرتهم وسيطرتهم وإضلال الناس.

وعلى مدى التاريخ نُلاحظ أنّ أيّة محاولة للتمرّد على النظام تبدأ أوّلاً بالامتناع عن صلاة الجمعة خلف الإمام المنصوب من قبل الحاكم، فقد جاء في قصّة عاشوراء أنّ بعض الشيعة اجتمعوا في دار سليمان بن صرد الخزاعيّ ثمّ بعثوا رسالة إلى الإمام الحسين من الكوفة جاء فيها «.. **والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نُلحقه بالشام إن شاء الله**»[1].

وفي الصحيفة السجّاديّة عن الإمام السجّاد عليه السلام: «**اللهمّ إنّ هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع أمنائك، في الدرجة الرفيعة الّتي اختصصتهم بها قد ابتزّوها**»[2].

وفي خطبة الجمعة يتمّ تبديد جميع الإشاعات الّتي كان الأعداء قد بثّوها خلال الأسبوع، وتدبّ بعد ذلك الحياة في جموع المسلمين ويبدأ دم جديد بالتدفّق.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ فقه أهل البيت عليهم السلام ينصّ على عدم جواز إقامة

(١) البحار، ج ٤٤، ص ٣٣٣.
(٢) الصحيفة السجّاديّة، دعاء ٤٢.

أكثر من جمعة واحدة في منطقة نصـف قطرها فرسـخ، كما يجب أن يشـارك في صـلاة الجمعة من كان يبعد عنها بمسافة فرسخين (أي ما يعادل أحد عشر كيلو متراً).

كلّ هذا يعني أنّه لا يُمكن إقامة أكثر من صلاة جمعة في مدينة واحدة صغيرة أو كبيرة، مع أطرافها وضواحيها. وبناءً على هذا فسيكون هذا التجمّع هو أوسع تجمّع يُقام في تلك المنطقة.

ولكنّنا نجد مع الأسـف أنّ هذه المراسـم العباديّة السياسيّة الّتي تستطيع أن تكون مصـدر حركة عظيمة في المجتمعات الإسـلاميّة، نجدها بسـبب سيطرة الحكومات الفاسـدة على بعض الدول الإسلاميّة قد فقدت روحها ومعناها، إلى الحدّ الّذي لا تترك فيه أيّ أثر إيجابيّ، وأصبحت تُقام باعتبارها مراسم حكوميّة رسميّة لا أكثر، وذلك ممّا يحزّ بالنفس ويؤلم كثيراً.



خلاصة

تدور هذه السورة حول محورين أساسيّين:

الأوّل: هو التوحيد وصفات الله والهدف من بعثة الرسول ومسألة المعاد.

والمحـور الثانـي: هـو الأثر التربويّ لصـلاة الجمعة وبعض الخصوصـيّات المتعلّقة بهذه العبادة العظيمة.

صحيح أنّ الهداية شأن إلهيّ، ولكن ينبغي أن تُهيّأ لها الأرضيّة اللّازمة، وهي الروح التوّاقة لطلب الحقّ والبحث عنه.

المـوت قانـون عامّ يخضـع له الجميـع بما فيهـم الأنبيـاء والملائكة وجميع الناس.

إنّ السـبب الأساس وراء الخوف من الموت هو عدم إيمان هؤلاء بالحياة بعد الموت أوالتعلّق بالدنيا أكثر من اللّازم أو كثرة المعاصي.

إنّ صلاة الجمعة - قبل كلّ شيء - عبادة جماعيّة ولها أثر العبادات عموماً، حيـث تُطهّر الـروح والقلب من الذنوب. أمّا من الناحية السياسـيّة والاجتماعيّة فهي أكبر مؤتمر أسبوعيّ عظيم بعد مؤتمر الحجّ السنويّ.

للمطالعة

القرآن والاكتشافات العلميّة المعاصرة

لا شـكّ أنَّ القرآن ليس كتاباً من كتب العلوم الطبيعيّة أو الطبيّة أو النفسـيّة أو الرياضيّة.

القرآن كتاب يهدي الإنسـان ويصـنعه، فهو لا يترك شـيئاً ضـروريّاً في هذا السبيل إلّا وأتى به.

لذلـك ليس لنا بالطّبع أنْ نرى في القرآن دائرة معارف عامّة، بل لنا أن نجد فيـه نور الإيمانِ والهداية والتقوى والإنسـانيّة والأخـلاق والنظام والقانون، فهو يضمّ كلّ هذه الأمور.

غير أنّ القرآن، للوصـول إلى هذه الأهداف، يُشير أحياناً إلى جانب من العلوم الطبيعيّـة وأسـرار الخلـق وعجائـب عالـم الوجود وخاصّـةً خلال ذكـر التوحيد والاستدلال بنظام الكون، فيرفع الستار عن بعض أسرار عالم الخلق ويكشف أُموراً لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً يومذاك وفي ذلك المحيط، حتّى العلماء منهم.

هذه البيانات تجتمع تحت عنوان «**معجزات القرآن العلميّة**». نُشير إلى بعضٍ منها في ما يلي:

القرآن وقانون الجاذبيّة

لم يكن أحد قبل نيوتن يعرف شيئاً عن قانون الجاذبيّة العامّ. من المعروف أنَّ نيوتن هذا كان يوماً جالساً تحت شجرة تفّاح، فسقطت تفّاحة من الشجرة على الأرض، فاستولى هذا الحدث الصغير على كلّ تفكيره وأمضى سنوات يُفكّر في القوّة الّتي جذبت التفاحة إليها. لماذا لم ترتفع إلى السماء؟ وبعد سنوات توصّل إلى وضع قانون الجاذبيّة الأرضيّة الّذي يقول:

«**تتجاذب الكتلتان بنسبة طرديّة مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسيّاً مع مربّع المسافة بين مركزي ثقليهما**».

على أثر صياغة هذا القانون اتّضح وضع المنظومة الشمسيّة.

لماذا تدور هذه الكواكب العظيمة كلّ في مدار حول الشمس؟ لماذا لا تهرب من هذا المدار وتنطلق في كل اتّجاه؟

لماذا لا تتراكم بعضها فوق بعض؟ ما هذه القوّة الّتي تُمسك هذه الأجرام في مدارات دقيقة في هذا الفضاء الشاسع، دون أنْ تتجاوزها حتّى بمقدار رأس الإبرة؟ اكتشف نيوتن أنَّ حركة الجسم الدائريّة تجعله يبتعد عن المركز، وقانون الجاذبيّة يجذبه إلى المركز، فإذا ما تعادلت هاتان القوّتان، القوّة الطاردة عن المركز، والقوّة الجاذبة نحو المركز، أي إذا أوجدت «**الكتلة**» و«**المسافة**» من القوّة «**الجاذبة إلى الداخل**» والقوّة «**الطاردة إلى الخارج**» مقادير متعادلة، بقي الجسم يدور في مداره ولا يتعدّاه.

غير أنَّ القرآن قبل أكثر من ألف سنة من اكتشاف هذه القوانين قال في الآية الثّانية من سورة الرّعد:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

وقد جاء في تفسير هذه الآية عن الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام قوله:

«**أليس الله يقول بغير عمد ترونها؟ قلت: بلى. قال: ثَمّ عمد لكن لا ترونها**»[1].

أهناك تعبير أوضح وأبسط في الأدب العربيّ من هذا القول عن قوّة الجاذبيّة: أعمدة غير مرئية، ليفهمه عامّة الناس؟

وفي حديث عن الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام نقرأ:

«**هذه النجوم الّتي في السّماء مدائن مثل المدائن الّتي في الأرض مربوطة كلّ مدينة إلى عمود من نور**».

أليســت هذه الإخبارات معجزة علميّة؟ خاصّة أنَّ الذي جاء به إنسان أُمّي لم يدخل مدرسة، بل إنَّه نشأ في محيط متخلِّف لا مدرسة فيه ولا تعليم. أفلا يكون هذا دليلاً على كون القرآن كتاباً سماوّياً؟[2]



(١) مفاهيم القرآن، السبحاني، ج١٠، ص٢٣.

(٢) سلسلة دروس في العقائد الاسلاميّة، آية الله مكارم الشيرازي، مؤسّسة البعثة، ط٢، ص١١٢- ١١٤.